مديح الإمام علي عليه السلام في الشعر العباسي

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري

كلية التربية الأساسية / جامعة بابل

Eulogies in praise of Al-Imam Ali (peace be upon him) In the Abbasid Poetry

Prof. Dr. Tha'ar Samir Hassan Al-Shimary

Dr.thaaer.al-shimary@gmail.com

Abstract

The prophet's household (peace be upon them) have been praised greatly in the Abbasid poetry. Many Abbasid poets praised the prophet's household (peace be upon them) by talking about their characters and deeds which were taken as lessons by Muslims especially the lessons taken from Al-Imam Ali (peace be upon him). He is the person mostly praised by poets and he is taken as a model because his deeds have positive effects and for other reasons which will be mentioned in the research.

الملخص

نال آل البيت (عليهم السلام) اهتماماً منقطع النظير من لدن الشعراء العباسيين، وأعني بذلك إقبال كثير من الشعراء في العصر العباسي على مديحهم مديحًا يبعث الفخر في نفوس محبيهم والمعترفين بفضلهم، وسَبْقِهم في الإسلام، فكانوا يذكرون صفاتهم ومناقبهم وأعمالهم التي اتخذها كثير من المسلمين دروسًا يسيرون على خطاها ويهتدون بنورها في حياتهم، ليضمنوا الفوز بآخرتهم، ولاسيما الحديث عن مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو أكثر شخصية اتخذها الشعراء قيمة راقية لتدبيج مدائحهم فيه، وذلك لما له من أثر إيجابي في بداية نشر الدعوة الإسلامية، وكما هو معروف، فضلاً عن أمور أُخر سنتطرّق لها في البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (عليه السلام)، المديح، الشعر العباسي.

ربما يجد الباحث مسوّغاً له في عدم الحديث عن آل بيت النبيّ(عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) حديثاً مفصّلاً، أو يتطرق فيه الى مكانتهم في الاسلام وادوارهم في تثبيت دعائمه الرئيسة، فهم النجوم التي نهتدي بنورها، فهي واضحة تدلّ على نفسها، فلا نرى ضرورة ملحّة للإشارة اليها، لأنّ ذلك سيغدو من نافلة القول، لذا آثرنا الدخول في تفاصيل الدراسة مباشرة، ومن دون أية مقدّمات عن نسب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وصلته بالنبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وبالمثل عن أبنائه من بنت رسول الله (فاطمة بنت محمد) (عليهما الصلاة والسلام).

نال آل البيت (عليهم السلام) اهتماماً منقطع النظير من لدن الشعراء العباسيين، وأعني بذلك إقبال كثير من الشعراء في العصر العباسي على مديحهم مديحاً يبعث الفخر في نفوس محبيهم والمعترفين بفضلهم وسَبْقِهم في الاسلام فكانوا يذكرون صفاتهم ومناقبهم وأعمالهم التي اتخذها كثير من المسلمين دروساً يسيرون على خطاها ويهتدون بنورها في حياتهم، ليضمنوا الفوز بآخرتهم، ولاسيما الحديث عن مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أكثر شخصية اتخذها الشعراء ثيمة راقية لتدبيج مدائحهم فيه، وذلك لما له من أثر ايجابي في بداية نشر الدعوة الاسلامية، وكما هو معروف، فضلاً عن أمور أُخر سنتطرق لها في المبحث هذا.

وكان الشاعر السيد الحميري أبدع مَن فعل ذلك، إذ ((كان أحذق الناس بسَوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر، لم يترك لعلي بن أبي طالب عليه السلام فضيلة معروفة إلاّ نقلها الى الشعر))[1]، وكان السيد في أوّل أمره كيسانياً يؤمن برجعة (محمد بن الحنفية) وهو من ولد الإمام علي عليه السلام، وكان كثيراً ما يردد ذلك في شعره، فمن ذلك قوله:

امام الهدى قل لي متى أنتَ آيب فمن علينا يا امام برجعةِ

[1] طبقات الشعراء / 32.

مللنا وطال الانتظار فجد لنا بحقّك يا قطبَ الوجودِ بزورةِ

فأنتَ لهذا الأمر قد ما معين كذلك قال اللهُ أنتَ خليفتي[1]

إذن، كان السيد مؤمناً بعودة (محمد بن الحنفية)، وذلك في أول أمره، لذا كان – في بعض الأحيان– يطيل الحديث – في شعره – عن أمره ورجوعه، فيذكر أسباب قناعته بذلك الأمر، ويأتي بالأدلة والبراهين التي تثبت صدق مزاعمه، على شاكلة قوله:

أشاقتك المنازل بعد هند وتربيها وذات الدلّ دعدِ

منازل أقفرت منهنّ محَّت معالمهنّ من سَبَلٍ ورعدِ

وريح حرجف تستنّ فيها بسافي الترب تلحم ما تسدي

ألم يبلغك والأنباء تنمى مقال محمد فيما يؤدي

الى ذي علمه الهادي علي وخولة خادم في البيت تردي

ألَم ترَ أنّ خولةَ سوف تأتي بواري الزند صافي الخِيمِ نجدِ

يفوز بكنيتي واسمي لأنّي نحلتهماه والمهدي بعدي

يغيّب عنهم حتى يقولوا تضمنه بطيبة بطن لحدِ

سنين وأشهراً ويرى برضوى بشعب بين أنمار وأسدِ

مقيم بين آرام وعين وحفّان تروح خلال ربدِ

تراعيها السباع وليس منها ملاقيهنّ مفترساً بحدٍّ

أمِنَّ به الردى فرتعن طوراً بلا خوفٍ لدى مرعى وورد

حلفتُ بربِّ مكة والمصلّى وبيت طاهر الأركان فردِ

يطوف به الحجيجُ وكل عامٍ يحلّ لديه وفد بعد وفدِ

لقد كان ابن خولة غير شك صفاء ولايتي وخلوص ودِّي

فما أحد أحبّ إليَّ فيما أسرّ وما أبوحُ به وأبدي

سوى ذي الوحي أحمد أو عليّ ولا أزكى وأطيب منه عندي

ومَن ذا يا ابن خولة إذا رمتني بأسهمها المنية حين وعدي

يذبّب عنكم ويسدّ ممّا تثلّم من حصونكم كسدِّي

وما لي أن أمرّ به ولكن أؤمّلُ أنْ يؤخّر يوم فقدي

فأدرك دولة لك لست فيها بجبّار فتوصَف بالتعدّي

[1] ديوان السيد الحميري / 144.

على قوم بغوا فيكم علينا لتعدي منكم يا خير معدِ

لتعل بنا عليهم حيث كانوا بغور من تهامة أو بنجدِ

إذا ما سرت من بلد حرام الى من بالمدينة من معدِّ

وماذا غرّهم والخير منهم بأشوس أعصل الأنيابِ وَردِ

وأنت لمَن بغى وعدا وأذكى عليك الحدب واسترداك مُردِ[1]

فهو يتمنى البقاء حيًّا الى اليوم الذي يرى فيه دولة (محمد بن الحنفية)، فيأخذ بالثأر من الظالمين والجائرين، لذا نراه يستنهضه من أجل الظهور عاجلاً، بسبب خوفه من الموت مبكراً، فلا تتحقق أمنيته برؤية عودة الإمام بحسب معتقده، يقول:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وبنا إليك من الصبابة أولقُ

حتى متى والى وكم المدى يابن الوصيّ وأنت حيّ تُرزقُ

تترى برضوى لا تزالُ ولا ترى وبنا إليك من الصبابةِ أوسُقُ

إنّي لآملُ أنْ أراكَ وانّني من أن أموت ولا أراكَ لأفرقُ[2]

غير أنّ السيدّ – بعد إكثاره من الكلام على معتقده ذلك[3]– عاد واعترف بخطأ اعتقاده، فعدل عنه معتذراً، ومردّداً ذلك العدول في شعره، وبأنه أصبح جعفريًّا على مذهب الإمام جعفر الصادق ﷺ، فمن ذلك قوله:

ولما رأيتُ الناسَ في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم اللهَ فيمن تجعفروا

وناديتُ باسم اللهِ واللهُ أكبرُ وأيقنتُ أنّ اللهَ يعفو ويغفرُ

ويثبتُ مهما شاء ربّي بأمره ويمحو ويقضي في الأمور ويقدرُ

ودنتُ بدينِ غير ما كنت داياً به ونهاني سيّدُ الناسِ جعفرُ

فقلتُ فهبني قد تهودتُ برهةً وإلا فديني دينُ مَن ينتصرُ

وانّي الى الرحمن من ذاك تائبٌ وانّي قد أسلمتُ واللهُ أكبرُ

فلستُ بغالٍ ما حييتُ وراجع الى ما عليه كنتُ أخفي وأضمرُ

ولا قائل حيّ برضوى محمّد وإنْ عابَ جهّال مقالي فأكثروا

ولكنّهُ ممّا مضى لسبيلهِ على أفضلِ الحالاتِ يقفى ويخبرُ

مع الطيبين الطاهرين الأولى لهم من المصطفى فرع زكي وعنصرُ[4]

---

(1) م.ن/ 182- 184، التِرب بالكسر: مَن وُلِدَ معك، محت: عفت، السَّبَل: محرّكة: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الى الأرض، ريح حرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب، تستن: تعدو فيها إقبالاً وإدباراً، تردي: تعدو، الخِيم: بكسر الخاء: الطبيعة والسجية، العِين: بالكسر: بقر الوحش، الحقان: صغار النعام، الربد: صفة للون النعام، الأشوس: الجريء على القتال الشديد، أعصل الأنياب: معوجها، وَرد: الجريء والأسد.

(2) م. ن / 292-293، الأولق: الجنون أو شبهه، الوسق: حمل بعير، الفرق: الفزع.

(3) ينظر على سبيل المثال: م.ن / 49-50، 50-51، 68-69، 173، 379-381.

(4) م.ن/ 202-203.

وعلى النحو هذا أعلن السيد براءته ممّا اعتقده سابقاً، وأصبح على المذهب الجعفري، كما ردَّدَ ذلك كثيراً في شعره الذي كان يعتذر فيه عن مذهبه السابق[1].

مديح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

قبل حديثنا عن اعتقاد السيد الحميري ذكرنا أنّ الإمام عليًّا عليه السلام كان أكثر امام مُدِحَ من لدن الشعراء العباسيين، ولاسيما السيد الحميري الذي دوَّن مناقبه وفضائله كلّها في قصائد خالدات على مرّ الأجيال والعصور، وأول فضيلة تحدث عنها السيد الحميري، وكذلك الشعراء العباسيون الآخرون هي فضيلة حديث (غدير خمّ) الذي خصّ به النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) الإمام عليًّا عليه السلام، وذلك حين جعله فيه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وذلك بشهادة كثير من الصحابة(رضي الله عنهم) والمسلمين الذين حضروا تلك الواقعة المعروفة لدى المسلمين جميعاً، لذا آثر الحميري وغيره من الشعراء العباسيين الكلام على تلك المناسبة المهمة في التاريخ الاسلامي، والتي ما زال صداها قائماً الى يومنا هذا، لذلك سنبدأ المدائح العباسية للإمام علي عليه السلام بهذه المناسبة.

يوم الغدير:

إنَّ ليوم الغدير وقعاً خاصًّا لدى المسلمين جميعاً، ولاسيما من شيعة آل البيت (عليهم السلام)، كونه اليوم الذي غدا فيه الإمام علي عليه السلام مولى كلّ مؤمن ومؤمنة بأمر من الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم)، لذا تطرقّ الشعراء العباسيون بكثرة لتلك المناسبة في أشعارهم التي خصّصوها لمديح أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، والإمام علي عليه السلام على وجه الخصوص، وكان السيد الحميري رأس القائمة التي ضمت ذلك الكم من الشعراء الذين استثمروا هذه الحادثة وعبّروا عنها بسرور كبير في قصائدهم.

وأوّل ما يلقانا بخصوص يوم الغدير قول السيد الحميري الذي يوضح فيه الأمر الإلهي في قضية الولاية من خلال الآية الكريمة **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[2]، وإسراع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بتنفيذ الأمر، إذ دعا عليًّا عليه السلام وعقد الولاية له بمرأى من الناس ومسمع، علماً أنَّ الحاضرين – في ذلك اليوم– كانوا بين مصدِّق ومكذِّب لتلك الوصية، يقول:

وبخمّ إذ قال الإلهُ بعزمةٍ قم يا محمّدُ بالولايةِ فاخطبِ

وانصب أبا حسنٍ يومك انه هادٍ وما بلّغتَ إنْ لم تنصبِ

فدعاه ثم دعاهم فأقامه لهم فبين مصدِّق ومكذِّبِ

جعل الولاية بعده لمُهذَّبٍ ما كان يجعلها لغيرِ مهذَّبِ[3]

ويعتني السيد الحميري بتفصيلات الواقعة الدقيقة في وقت آخر، وذلك في معرض ردِّه على لائميه في حب علي بن أبي طالب عليه السلام، لذا نراه يصوّر المشهد في غدير خمّ تصويراً دقيقاً، من خلال ذكر كلام النبيّ ﷺ، فضلاً عن بيان الحركات التي تمّت في ذلك اليوم، إذ ينقل لنا مشهد رفع النبيّ ﷺ كفّ عليّ عليه السلام، مع ذكر اسمه بصوت واضح، مسمّياً إيّاه بالخليل والوزير والوارث والعقيد، ثم قلّده الولاية، وطلب من الحاضرين طاعته في أمره هذا، فعلي عليه السلام بمنزلة هارون من موسى عليه السلام عند النبيّ ﷺ، بحسب قول النبيّ ﷺ نفسه، فيقول السيّد في ذلك:

قد أطلتم في العذلِ والتفنيد بهوى السيّد الامام السديدِ

يوم قام النبيّ في ظلّ دوح والورى في وديقة صيخودِ

---

(1) ينظر على سبيل المثال: م.ن /114-117، 409، 442.

(2) المائدة/67.

(3) ديوان السيد الحميري/111-113.

رافعاً كفّه بيمنى يديه بايحاً باسمه بصوت مديدِ

أيّها المسلمون هذا خليلي ووزيري ووارثي وعقيدي

وابن عمّي ألاَ فمَن كنتُ مولا هُ فهذا مولاهُ فاعوا عهودي

وعليّ منّي بمنزلة هارون بن عمران من أخيه الودودِ[1]

كما طلب النبيّ ﷺ في ذلك اليوم من الحاضرين موالاة علي بن أبي طالب ﷺ بوصفه مولاهم من بعده، لكي يتولاّهم الله (تعالى) بحفظه وأمنه، وفي الوقت نفسه فأنّ مَن يُعاديه ولا يقرُّ بولايته فان الله (تعالى) سيعاديه ويغضب عليه، ولاسيما أنّ كلام النبيّ ﷺ كان واضحاً في عقد تلك الولاية له وبالنصّ القرآني، وذلك ما نقله لنا السيّد الحميري في قوله:

أجدّ بآل فاطمة البكور فدمعُ العينِ منهلٌ غزيرُ

لقد سمعوا مقالته بخمّ غداة يضمّهم وهو الغديرُ

فمَن أولى بكم منكم فقالوا مقالة واحد وهم الكثيرُ

جميعاً أنت مولانا وأولى بنا منّا وأنتَ لنا نذيرُ

فقال لهم علانية جهاراً مقالة ناصحٍ وهم حضورُ

فانّ وليَّكم بعدي عليّ ومولاكم هو الهادي الوزيرُ

وزيري في الحياةِ وعند موتي ومن بعدي الخليفة والأميرُ

فوالى الله مَن والاهُ منكم وقابله لدى الموتِ السرورُ

وعادى اللّهُ مَن عاداهُ منكم وحلَّ به لدى الموتِ النشورُ[2]

ولم ينسَ السيّد الحميري توضيح المسوّغات التي جعلت الولاية لعليّ بن أبي طالب ﷺ من دون غيره، وتلك المسوّغات تحدّث عنها النبيّ(صلى الله علية وآله وسلم) بنفسه يوم نصبّه وليّاً له على المؤمنين جميعاً، فهو أكثرهم برّاً وعلماً، فضلاً عن أنّه أوّل مَن آمن بالدعوة الإسلامية، كما أنّه ابن عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو– لديه– بمنزلة هارون من موسى (عليهما السلام)، فذلك كلّه ممّا يوجب عقد الولاية له من دون الصحابة الآخرين (رضي الله عنهم):

نفسي فداء رسول اللهِ يوم أتى جبريل يأمر بالتبليغ اعلانا

إنْ لم تبلِّغْ فما بلغتَ فانتصب الـ ـنبيّ ممتثلاً أمراً لمن دانا

وقال للناسِ مَن مولاكم قبلاً يوم الغدير فقالوا أنت مولانا

أنت الرسولُ ونحن الشاهدونَ على أنْ قد نصحت وقد بيّنت تبيانا

هذا وليّكم بعدي أمرتُ به حتماً فكونوا له حزباً وأعوانا

هذا أبرّكم برّاً وأكثركم علماً وأوّلكم باللهِ ايمانا

هذا له قربة منّي ومنزلة كانت لهارون من موسى بن عمرانا[3]

---

[1] م.ن / 176-177، الدوح: دوح غدير خم، الوديقة: حرّ الهاجرة، الصيخود: شديدة الحرّ.
[2] م.ن /197-198.
[3] م.ن/420.

كان السيّد الحميري من أكثر الشعراء العباسيين ذكراً ليوم الغدير في قصائده التي مدح بها الإمام عليّاً ﷺ، وكان في كلّ قصيدة يضرب الأدلة والبراهين والروايات التي تؤكد جدارة الإمام علي ﷺ واستحقاقه الولاية من دون سائر المسلمين، وكثيراً ما كان يربط أقواله بكلام الله (تعالى) وكلام نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

غير أنّ ذكر يوم الغدير لم يكن مقتصراً على شعر السيد الحميري، بل تطرّق له عدد كثير من الشعراء العباسيين، لما له من أهميّة – كما ذكرنا سابقاً– عند المسلمين، بوصفه حدثاً تاريخياً يتعلق بأمور الدنيا والدين على حدٍّ سواء، فكان الصنوبري أحد الشعراء الذين تطرّقوا للحديث عنه، مبتدئاً من رفع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يمين الإمام علي ﷺ بيمينه ليراها الجميع بوضوح، ثمّ فضّله عليهم، وشبهه بهارون بالنسبة إلى موسى (عليهما السلام)، فذلك كله تكلم عليه الصنوبري بنَفَس تملؤه الحماسة والفخر بحبّ آل البيت (عليهم السلام)، إذ يقول:

رفع النبيّ يمينه بيمينه ليرى ارتفاع يمينه رائيها
في موضعٍ أضحى عليه منبّهاً فيه وفيه يبدعُ التشبيها
آخاه في خمّ ونوّه باسمه لم يألُ في خبرٍ به تنويها
هو قال: أفضلكم عليٌّ إنّه أمضى فسنَّته التي يمضيها
هو لي كهارون لموسى حبّذا تشبيهُ هارون به تشبيها[2]

وأبدع الصاحب بن عبّاد كالسيّد الحميري في تدوين مناقب الإمام علي ﷺ، من خلال المدائح التي وجّهها إليه، والتي كان من ضمنها الحديث عن يوم الغدير الذي كثيراً ما كان الشاعر يتغنّى به في معرض فخره بحبّه للإمام علي ﷺ، فيقول في إحدى قصائده:

ويا غديرُ انبسطْ لِتُسْمِعَهُمْ مَن كنتُ مولاهُ فهو مولاهُ[3]

وهو لا يكتفي – في قصائده الأُخر – بمثل هذه الإشارة السريعة ليوم الغدير، وإنّما نراه يزيد الوصف روعة، ويكسبه بهاءً وجمالاً، عن طريق تفصيل الحادثة بوضوح أكثر، ودقة أوسع، فيتحدث عن رفع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ليد الإمام علي ﷺ في ذلك اليوم البهي، ومن ثمّ تنصيبه الولاية أمام المسلمين، ويرى الشاعر أنْ يوم الغدير يوم أغرّ أضاء غرّة هاشم، في الوقت الذي أساء فيه كلّ حاقد وهجين لم يدخل حبّ الإمام علي ﷺ إلى قلبه، قائلاً:

يا آل أحمد قد حَدَوتُ بمدَحِكُمْ لمّا رأيتُ الحقَّ جدَّ مُبينِ
سَبَقَ الوصيُّ إلى العُلى[كذا] طُلاّبها حتّى تملّكها بغيرِ قرينِ
شمسٌ ولكنْ ليس يغربُ قرصُها وضَياغِمٌ لم تستتِرْ بعرينِ
جَذَبَ النبيُّ بضَبْعِهِ يومَ الغدي ـرِ ووكَّدَ التعريفَ بالتعيينِ
حَتَمَ الرِّقابَ بنَصْبِهِ لولايةٍ خَتْمُ الرقابِ خلافِ خَتْمِ الطِّينِ
يومٌ أغَرُّ أضاءَ غرّةَ هاشمٍ يومٌ هِجانٌ ساءَ كلَّ هَجِينِ[4]

إذن، كان ليوم الغدير صدًى واسع في الشعر العبّاسي، وذلك من خلال الإكثار من الحديث عنه، فضلاً عن التطرّق إلى أمور كثيرة حدثت بشأنه بعد وفاة النبيّ(عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، نرى أنّ من الضروري عدم

---

[1] ينظر:م.ن/ 150، 164-165، 210-211، 231-232، 254، 263، 277-278، 304-321، 329، 339-340، 351-352، 359، 396-397، 401، 408، 412-413، 454، 458-459، 463، 464.
[2] ديوان الصنوبري/510.
[3] ديوان الصاحب بن عباد/ 62.
[4] م.ن /130.

الخوض فيها لأسباب معروفة، تجنّباً لكلّ ما من شأنه النيل من الوحدة الإسلامية، لتكون كلمتنا قوية بوجه كلّ مَن يحاول ذلك من أعداء الإسلام والمسلمين[1].

شجاعة الإمام علي عليه السلام:

لم تكن الشجاعة التي تحلّى بها الإمام علي عليه السلام شجاعة اعتيادية كالتي عرفها العرب منذ جاهليتهم وحتى بعد إسلامهم، وإنّما كانت شجاعة معجزة بالمقاييس كلّها، والكلام هذا ليس كلاماً إنشائيا جميلاً بحق هذه الشخصيّة بقدر ما هو من الحقائق المثبتة له حتى من لدن أعدائه وحسّاده، فقد عُرِفَ عنه أنّه برز لأبطال العرب وقتلهم واحداً تلو الآخر، ممّا يدلّ على أنّ تلك الشجاعة كانت منحة إلهية له، وليست تقليدية كما لدى غيره، ولهذا كانت تلك الشجاعة منقطعة النظير في تاريخ العرب العريق والطويل، وذلك ممّا دفع الشعراء العباسيين للحديث عنها في مدائحهم التي وجهوها لشخصه الكريم.

فتكلم السيّد الحميري على معركة بدر ودور الإمام علي عليه السلام فيها، وكان أوّل حادث في تلك المعركة مبارزة الإمام علي عليه السلام وحمزة رضي الله عنه وعبيدة للوليد وعتبة وشيبة، فقتل الإمام علي عليه السلام الوليد فور تلاقيهما، ثم عطف على عتبة فوجده في صراع مع حمزة رضي الله عنه فقال لعمّه: طأطئ يا عم فطأطأ وكان أطول من خصمه فقضى على عتبة بضربة واحدة، ثم اشترك هو وحمزة في قتل شيبة، فقرَّرَ هذا الحادث مصير المعركة وكان النصر للمسلمين[2]، ومثّل صورة المعركة هذه السيد الحميري في قوله مؤكداً شجاعة الإمام علي عليه السلام فيها، فضلاً عن إبداء محبته له ولآل بيته (عليهم السلام):

بيت الرسالةِ والنبوّةِ والذيـ ـن نعدّهم لذنوبنا شفعاء
الطاهرين الصادقين العا لمين السّادة النجباء
إنّي علقت بحبّهم متمسّكاً أرجو بذاك من الإله رضاء
أسواهم أبغي لنفسي قدوة لا والذي فطر السماء سماء
مَن كان أوّل من أباد بسيفه كفّار بدرٍ واستباح دماء
مَن ذاك نوّه جبريل باسمه في يوم بدر يسمعون نداء
لا سيف إلاّ ذو الفقار لا فتى إلا علي رفعة وعلاء[3]

كما يصور السيّد الحميري شجاعة الإمام علي عليه السلام في غزوة خيبر، التي برز فيها لأبرز شجعان العرب، وأعني به (عمرو بن عبد ود العامري)، على الرغم من حداثة سنه قياساً بـ (عمرو)، وقد تغلّب عليه في ذلك النزال الذي عرَّف العرب بحقيقة شجاعة ذلك الرجل غير الاعتيادية، الأمر الذي جعلهم يهابون لقاءه، ويحذرون مواجهته حتى آخر يوم من حياته.

أمّا فيما يتعلق بطريقة قتله لعمرو بن عبد ودّ العامري، فذلك ما تكلّم عليه الشاعر حين صور قوته وضخامته، ومن ثم انتصار الإمام علي عليه السلام عليه وقتله شرّ قتل، يقول:

ذاك عليّ بن أبي طالب ذاك الذي دانت له خيبر
دانت وما دانت له عنوة حتى تدهدى عرشه الأكبر
ويوم سلع إذ أتى عاتياً عمرو بن عبد مصلتاً يخطر

---

[1] ينظر: ديوان ديك الجن/45، 57، وشعر دعبل بن علي الخزاعي /242، 266، وديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي/ 201، 216، وديوان كشاجم/345، وديوان أبي فراس الحمداني/205، وديوان الصاحب بن عباد/45، 70، 76، 101، 109، 112، 142، 145، 149، 156، 187، وديوان الصنوبري 1/ 186-187، 416، 68/2، وديوان مهيار الديلمي 182/2، 183، 16/3، 200/4.

[2] ينظر: ديوان السيد الحميري/54، الهامش.

[3] م.ن/ 53-54.

يخطر بالسيف مدلاً كما يخطر فحل الصِرْمة الدوسر
إذ جلل السيف على رأسه ابيض عضباً حدّه مبتر
فخرّ كالجذع وأوداجه ينصب منها حلب أحمر
ينفث من فيه دماً معجلاً كأنّما ناظره العصفر[1]

وقد يجمع الشاعر– في حديثه عن شجاعة الإمام علي عليه السلام – بين معركتين، لإثبات تلك الشجاعة، كما فعل في قصيدته التي تحدث فيها عن فضائل عدّة للإمام علي عليه السلام والتي كان من بينها شجاعته التي اتصف بها، إذ وصف تلك البسالة من خلال الكلام على معركتي (بدر وأُحد) اللتين برز فيهما الإمام علي عليه السلام بروزاً نادراً في مواقف أعجبت الأعداء قبل الأصدقاء والشجعان قبل الجبناء، يقول:

وله ببدرٍ وقعةٌ مشهودةٌ كانت على أهلِ الشقاءِ دمارا
فأذاق شيبة والوليد منيةً إذ صبحاه جحفلاً جرّارا
وأذاق عتبة مثلها أهوى لها عضباً صقيلاً مرهفاً بتّارا
وله بلاء يوم أُحد صالح والمشرفيّة تأخذ الأدبارا[2]

وكما أكثر السيد الحميري من الحديث عن يوم الغدير في مدائحه للإمام علي عليه السلام نراه أكثر– كذلك– من الحديث شجاعته[3]، وكان في أكثرها يصوّر الإمام علياً بهيأة الأسد الذي يتبختر بين أشباله في لحظات الصيد، في دلالة على إقباله على الحرب من دون وجل، في الوقت الذي كان فيه الشجعان يهابونها، ودليل ذلك قوله متمسّكاً بحب علي بن أبي طالب عليه السلام، معدّداً مناقبه التي كانت الشجاعة الفائقة واحدة منها:

أُقسمُ باللهِ وآلائِه والمرء عمّا قال مسئولُ [كذا]
أنّ عليَّ بن أبي طالب على التّقى والبرِّ مجبولُ
وأنّه كان الإمام الذي له على الأمّةِ تفضيلُ
يقولُ بالحقِّ ويعني به ولا تلهِّيه الأباطيلُ
كان إذا الحرب مَرتها القنا وأحجمتْ عنها البهاليلُ
يمشي إلى القِرنِ وفي كفِّهِ أبيض ماضي الحدّ مصقولُ
مشيَ العفرنى بين أشبالهِ أبرزه للقَنَصِ الغِيلُ[4]

وتحدث الشعراء العباسيون كثيراً عن شجاعة الإمام علي عليه السلام وبسالته في قصائدهم التي مدحوه بها، وكانوا جميعاً يتنافسون في جودة الصياغة، وقوّة المعنى، وحسن السبك لأبياتهم التي خصّصوها لذكر بطولاته وانتصاراته المتتالية، وسحقه للأبطال الذين واجههم في المعارك والغزوات المتعدّدة، فلم يعرف الخوف يوماً، ولم يدخل الوجل إلى قلبه كغيره من الفرسان، فهكذا كان دأبه في بدر وأُحد وحتى في فتحه لباب خيبر، ومن الشعراء الذين صوّروا ذلك ديك الجن في قوله:

ومَن كعليٍّ إذا ما دَعوا نَزالِ وقد قَلَّ مَن يَنزِلُ

---

[1] م.ن/206-207، الصِرْمة: القطعة من الإبل عددها نحو الثلاثين.
[2] م.ن/215.
[3] ينظر على سبيل المثال: م.ن / 100-105، 123-124، 130-131، 200، 275-277، 280، 334-336، 402-403.
[4] م.ن/ 322-323، مرتها: ملتها، البهاليل: جمع بهلول: السيد الجامع لكل خير،العفرنى: الأسد، الغيل: الشجر الكثير الملتف، والمحل المكتظ بنبت القصب والحَلفاء، وموضع الأسد.

تراهُ يَقُدُّ جُسُومَ الرِّجالِ فَيَنْدَحِرُ الأوَّلُ الأوَّلُ
وكم ضَربةٍ واصَلَتْ كَفَّهُ لِفَيْصَلِهِ فاحتَوَى الفَيصَلُ
سَطَا يومَ بَدرٍ بقِرْضا بِهِ وفي أُحُدٍ لم يَزَلْ يَحْمِلُ
ومِن بأسِهِ فُتِحَتْ خَيْبَرٌ ولم يُنْجِها بابُها المُقفَلُ
دحا أربَعينَ ذراعاً بها هِزَبْرٌ لهُ دَانتِ الأشبُلُ[1]

ويَعُدُّ الشاعر دعبل بن علي الخزاعي الإمام عليّاً عليه السلام رمحَ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي يعتمده في كلّ معركة، في إشارة واضحة لشجاعته غير الاعتيادية، ودخوله المعارك من دون تردّد يُذكر، وفضلاً عن ذلك فهو (الإمام علي) عليه السلام أوّل مَن يجيب الداعي للمبارزة في الوقت الذي تتهرب فيه الأبطال، ولاسيما إذا كان الداعي مثل (عمرو بن عبد ودّ العامري) أو مثل (مرحب)، اليهودي، اللذين برز لهما الإمام علي عليه السلام وقتلهما كلاهما في مبارزتين منفصلتين طبعاً، وذلك ممّا يوضّح شجاعته منقطعة النظير بشكل أكثر، يقول دعبل الخزاعي في ذلك:

سِنانُ مُحمَّدٍ في كلِّ حَربٍ إذا نَهِلَتْ صُدُورُ السَّمْهَرِيِّ
وأولُ مَنْ يَجيبُ إلى برازٍ إذا زاغَ الكَمِيُّ عنِ الكمِيِّ
مَشاهِدُ لم تُفَلَّ سُيُوفُ تَيْمٍ بِهِنَّ ولا سُيُوفُ بَني عَدِيِّ[2]

ومن أسرار شجاعة الإمام علي عليه السلام أنّها أنطقت بها حتى مَن كانوا يخالفونه في المذهب والاعتقاد، فهذا ابن المعتز العباسي الذي كان– كما أجداده– في صراع متواصل مع العلويين، ولاسيما فيما يتعلق باستحقاق الخلافة، أقول: على الرغم من ذلك نراه يعترف ببطولة الإمام علي عليه السلام الفائقة في المعارك التي خاضها مع أعداء الإسلام، وبالأخص قتاله مع (عمرو بن عبد ودّ العامري)، فيقول الشاعر في ذلك:

وعمرُو بنُ عبدٍ وأحزابُهُ سقاهُمْ حَسَا الموتِ في يَثْرِبِ
وسَلْ عنهُ خَيبَرَ ذاتِ الحصونِ تُخبِّرْكَ عنهُ وعن مَرحَبِ[3]

وكان الصاحب بن عباد من أكثر الشعراء ترجمة لبطولات الإمام علي عليه السلام، وذلك على مستوى القصيدة الواحدة، ولا أعني أنه كالشعراء الآخرين الذين تحدّثوا عن شجاعته بشكل يسير في كلّ قصيدة على حدة، إذ جمع الصاحب أكثر انجازات الإمام علي عليه السلام العسكرية في نصّ شعري واحد، أبان فيه عن بسالته الواضحة في تنفيذ مهماته البطولية في المعارك، حتّى أنّه (الشاعر)– لكثرة طاعة الموت لأوامر الإمام علي عليه السلام – يعد ملك الموت تابعاً له ينفّذ ما يأمره به، وأنّ صولته أجلٌ حتميّ لمن يُقبل على قتله، إلى الدرجة التي أصبح الموت فيها يخشاه.

ويستمر الصاحب في قصيدته بتعداد منجزات الإمام علي عليه السلام الحربية، فيذكر المعارك التي اشترك فيها وحقّق بطولات لا يمكن إنكارها حتّى من ألَدِّ الحاسدين والحاقدين، فنراه يذكر يوم بدر، وحنين، وخيبر، فضلاً عن يوم الجمل، وكذلك يتحدث عن قتله لعمرو بن عبد ودّ العامري، ومرحب، مصوّراً عملية مقتلهما بيد الإمام علي عليه السلام والطريقة التي انتصر فيها عليهما، ففي ذلك كلّه يقول الشاعر:

إنّ عليّاً علا الى شَرَفٍ لورامَهُ الوهمُ زَلَّ مرقاهُ
كم صارمٍ جاءَهُ على ظَمَأٍ فحين جدَّ القراعُ أرواهُ

(1) ديوان ديك الجن/53-54، الفيصل: السيف، قرضبه: قطعه، القرضاب: السيف القاطع، الهزبر: الأسد.
(2) شعر دعبل بن علي الخزاعي/278.
(3) شعر ابن المعتز411/1.

كم بطلٍ رامَهُ مصالَتَةً رماهُ عن بأسه فأصماه
كم مُحربٍ جاء به غير مُكترِثٍ ألقاهُ للأرضِ إذْ تلقّاه
ما مَلَكُ الموت غير تابعِ ما يَسِمُهُ سيفُهُ بيُمْناهُ
صَولتُهُ في هياجِهِ أجَلٌ أجَلْ فانَّ الحتوفَ تخشاهُ
والقَدَرُ الحَتْمُ عندَ طاعتِهِ يأمُرُهُ دائماً وينهاهُ
يايومَ بدرٍ أبِنْ مواقِفَهُ ليعرف الناصبونَ مغزاهُ
ويا حنينُ احتفلْ لتنبئ عن مقامِهِ والسيوفُ تغشاهُ
يا أُحُدُ اشهدْ بحقٍّ مشهده واسْعَ لِتفصحْ بقَدْرِ مسعاهُ
ويا خيبر انطقْ بما خبرتَ وقُلْ كيف أقامَ الهدى وأرضاهُ
[....]
ويا مَرحبَ الكفرِ مَن إذاقَكَ مِنْ حَرِّ الظُّبَا ما كرهت سُقياهُ
ياعمرو مَنْ ذا الذي أنالَكَ مِن صارِمِهِ الحتفَ حين ألقاهُ
يا جَمَلَ السوءِ حينَ دَبَّ لَهُ كيفَ رأيتَ انتصارَ علياهُ[1]

إنّ الشجاعة التي اتّصَفَ بها الإمام علي ﷺ، والانتصارات المتتالية التي حقّقها في المعارك التي خاضها ضد أعداء الدين الاسلامي، كانت هي الملهم الأول والرئيس للصاحب بن عباد الذي كثيراً ما كان يتغنّى بها في قصائده التي مدح بها الإمام عليًّا ﷺ، مشيداً بعظمته ومناقبه، ومعدّداً انتصاراته المتلاحقة، كما فعل في قصيدته السابقة، أو كما فعل في قوله الآتي أيضاً:

أيعسوبَ دين اللهِ صنوَ نبيِّهِ ومَن حُبُّهُ فرضٌ من اللهِ واجِبُ
مكانُكَ مِن فوقِ الفراقِدِ لائِحٌ ومجدُك من أعلى السِّماكِ مراقِبُ
وسيفُكَ في جيدِ الأعادي قلائدٌ قلائدُ لم يعكفْ عليهنَّ ثاقِبُ
وفي يوم بدرٍ غنيةٌ وكفايةٌ وقد ذُلِّلَتْ في مضربَيْكَ المصاعِبُ
وفي أُحُدٍ لمّا أتيتَ وبعضُهُم – وإنْ سألوا صرَّحْتُ– أسوانُ هاربُ
وفي يوم عمرو أي لعمري مناقبٌ مُبَيَّنَةٌ ما مثلهنَّ مناقِبُ
وفي مرحبٍ لو يعلمون قناعةٌ وفي كلّ يومٍ للوصيِّ مراحبُ
وفي خيبرٍ أخبارُهُ الغرُّ بَيَّنَتْ حقيقتها والليثُ بالسيفِ لاعِبُ[2]

ولم تكن شجاعة الإمام علي ﷺ عاملاً فعّالاً في قول الشعر الجميل لدى الصاحب بن عباد فحسب، بل تعدّى أمرها الى كثير من الشعراء العباسيين، الذين اتخذوا من تلك الشجاعة مضموناً رئيساً لقصائدهم التي دبّجوا معانيها في مديح الإمام علي ﷺ، فقالوا وأبدعوا في القول[1].

[1] ديوان الصاحب بن عباد/61-63.
[2] م.ن/ 185-186.

سرعة ايمان الإمام علي عليه السلام:

كان الإمام علي عليه السلام أسرع الناس الى التصديق بنبوة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأكثرهم ايماناً به وبدعوته، في الوقت الذي شكّل فيه الجميع في بادئ الأمر، لذا تُعَدُّ سرعة ايمان الإمام علي عليه السلام بالنبوة منقبة أخرى تضاف الى مناقبه التي لا تعدّ ولا تُحصى، والتي تحدّث عنها الشعراء كثيراً في قصائدهم، كما تحدّثوا عن المنقبة هذه التي تؤكد تحلّي الإمام علي عليه السلام بصفات نادرة قلّما استوعبتها شخصية اسلامية غيره، باستثناء النبيّ محمد(صلّى الله عليه وآله وسلم) طبعاً.

ويتحدث السيد الحميري عن سرعة ايمان الإمام عليه السلام وتصديقه للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

أبو حسنٍ غلامٌ من قريش أبرّهم وأكرمهم نصابا
دعاهم أحمد لما أتته من اللهِ النبوة فاستجابا
فأدّبه وعلّمه وأملى عليه الوحي يكتبه كتابا
فأحصى كلّما أملى عليه وبيّنه له باباً فبابا[2]

الشاعر في أبياته هذه يشير الى دعوة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قومه عندما نزلت عليه الآية الكريمة **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[3]، وكانوا ثلاثين أو أربعين رجلاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم: أمرني الله أن أدعوكم فأيّكم يؤازرني على أمري هذا؟ فقال علي: أنا يا نبيّ اللهِ أكون وزيرك عليه. فأخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) برقبته وقال: إنّ هذا أخي وصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا[4].

ويؤكد الشاعر الرواية هذه في قصيدة أخرى، وفي مناسبة ثانية، ممّا يدلّ على أهميتها لدى الشاعر أوّلاً، ولدى الآخرين الذين أراد الشاعر تأكيدها لهم، لأهميتها فيما يتعلق بفضل الإمام علي عليه السلام في تثبيت دعائم الدين الإسلامي الجديد ثانياً، ولا نرى في نصّه الآتي إضافات جديدة على قوله السابق سوى تعليقه على فوز الإمام علي عليه السلام بالمنقبة هذه التي تعدّ مهمة جداً، فضلاً عن تعليقه بأنّ تصديق الإمام عليه السلام بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس غريباً عن شخصيته وعاداته الايجابية التي اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء، فيقول:

وقيل له انذر عشيرتك الأولى وهم من شبابٍ أربعين وشيبِ
فقال لهم إنّي رسولٌ إليكم ولستُ أراني عندكم بكذوبِ
وقد جئتُكُم من عند ربٍّ مهيمنٍ جزيلِ العطايا للجزيلِ وهوبِ
فأيّكم يقفو مقالي فأمسكوا فقال ألاَ من ناطقٍ فمُجيبِي
ففاز بها منهم عليّ وسادهم وما ذاك من عاداتهِ بغريبِ[5]

ويطيل الشاعر – في قصيدة أخرى– من ذكر تفاصيل المنقبة هذه، التي غدت مفخرة كبيرة للإمام علي عليه السلام، فيذكر – فضلاً عن سرعة ايمانه – أنّه أوّل مَن صلّى على الرغم من حداثة سنّه، إذ لم يكن عمره سوى سبع سنوات وبضعة أيام، كما وضّح الشاعر– في قصيدته هذه – تذمّر أقاربه من دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعدم

---

(1) ينظر على سبيل المثال: ديوان ديك الجن/45، وشعر دعبل بن علي الخزاعي/ 273-274، وشعر ابن المعتز1/410، وديوان كشاجم/345، وشعر الخبّاز البلدي/37، وديوان الصاحب بن عباد/35، 43-44، 46، 68، 71، 75-76، 82-83، 100، 101، 107-108، 112، 115- 116، 122-125، 131، 137، 144، 149، 163، 166-167، وديوان الشريف الرضي1/116، وديوان مهيار الديلمي 2/264، 4/200-201.

(2) ديوان السيد الحميري/ 73-74،النصاب: نصاب السكين وهو أصله الذي ركب فيه، يقال: فلان كريم المنصب والمركب.

(3) الشعراء/ 214.

(4) ينظر: ديوان السيد الحميري/ 73، الهامش.

(5) م.ن /118.

تصديقهم له، وأصبحوا بفعلهم هذا من الخاسرين، ولم يفز منهم سوى الإمام علي عليه السلام الذي كان سبّاق غايات، على حدِّ قول الشاعر:

من فضله أنّه أوّل مَن صلّى وآمنَ بالرحمنِ إذ كفروا
سنين سبعاً وأيّاماً محرّمة مع النبيّ على خوف وما شعروا
ويوم قال له جبريل قد علموا أنذر عشيرتك الأدنين ان بصروا
فقام يدعوهُمُ من دون أُمَّتِهِ فما تخلّف عنه منهم بَشَرُ
فمنهم آكلٌ في مجلس جذعاً وشاربٌ مثل عسّ وهو محتضرُ
قصدّهم عن نواحي قصعة شبعاً فيها من الحبّ صاع فوقه الوذرُ
فقال يا قوم إنّ اللهَ أرسلني إليكم فأجيبوا اللهَ وادكروا
فأيكم يجتني قولي ويؤمن بي إنّي نبيّ رسول فانبرى غَدِرُ
فقال تبًّا أتدعونا لتلفتنا عن ديننا ثم قام القوم فاشتمروا
مَن الذي قال منهم وهو أحدثهم سنًّا وخيرهم في الذِّكرِ إذ سطروا
آمنتُ باللهِ قد اعطيت نافلة لم يعطها أحدٌ جنٌّ ولا بَشَرُ
وانّ ما قلته حقٌّ وانّهم إنْ لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسروا
ففاز قدماً بها والله أكرمه وكان سبّاق غايات إذا ابتدروا[1]

إذن، أكثر الشعراء العباسيون – في مدائحهم – من ذكر فضيلة أخرى من فضائل الإمام علي عليه السلام، ألاَ وهي سرعة ايمانه وتصديقه بما أُرسِلَ به النبيّ (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم)، إلاّ أنّها – في أكثرها– كانت اشارات سريعة ربما لا تتعدّى البيت أو البيتين، لأنّهم لم يقصروا قصائدهم للحديث عنها وحدها، بل تناولوا فضائل أُخر غيرها، فجاء الحديث عنها بشكل مبتسر[2]، كما فعل الشريف الرضي في قوله:

أوّلُ النّاسِ الى الدّاعي الذي لم يُقَدِّم غَيرَهُ لمّا دَعا[3]

<u>عدم عبادته عليه السلام الأصنام:</u>

عُرف عن الإمام علي عليه السلام أنّه لم يسجد لصنم اطلاقاً من قبل مجيء الدعوة الاسلامية، ولذلك يقال عنه: (كرم الله وجهه)، وهذا – بطبيعة الحال– من القضايا النادرة، إذ كان العرب كلهم يعبدون الأصنام، بوصفها وسائط بينهم وبين الله (سبحانه وتعالى)، حتى جاء الاسلام وانتهت تلك الأعراف تدريجياً من العرب.

وعدم سجود الإمام علي عليه السلام للأصنام، وترك عبادتها كالآخرين كان فضيلة أخرى تضاف الى فضائله ومناقبه المتعدّدة، وتناولتها أقلام الشعراء بكثرة أيضاً، حين تعرّضوا لمدح الإمام علي عليه السلام، ولعلّ أبرز مَن يصوّر ذلك السيد الحميري في قوله الذي ذكر فيه بعض الأصنام المشهورة عند العرب قبل الاسلام، والذي أفاد فيه عدم سجود الإمام علي عليه السلام لأيٍّ صنم منها:

---

[1] م.ن / 203-205، الجذع: الصغير من الغنم والبقر والخيل، العس: الإناء الكبير، محتضر: أي له حواضر، جمع حاضرة وهي أذن الفيل، ويقال: عس ذو حواضر: أي له زوائد كآذان الفيل، الوذر: جمع وذرة: القطعة من اللحم.

[2] ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/63، 80- 82، 123، 161، 166، 168-169، 179، 193، 217، 225، 240، 250-251، 260، 399، 459،وديوان الصنوبري/129، وديوان الصاحب بن عباد/35، 42، 68، 100، 107، 117.

[3] ديوان الشريف الرضي47/1.

فانّك كنتَ تعبدهُ غلاماً بعيداً عن أساف ومن مناةِ

ولا وثناً عبدتَ ولا صليباً ولا عزّى ولم تسجد للاتِ[1]

وفضلاً عن عدم سجود الإمام علي ﷺ لأي صنم، نراه لم يكن يستقسم بالأزلام على عادة العرب قديماً، وإنّما كان منشغلاً بتوحيد الله (تعالى) قبل احتلامه، في الوقت الذي كانوا فيه يصلّون للات والعزّى، فيقول السيد الحميري في ذلك:

لم يتخذ وثناً ربًّا كما اتخذوا ولا اجال لهم في مشهد زَلَما

صلّى ووحَّدَ إذ كانت صلاتهم للاّتِ تُجعَلُ والعزّى وما احتلما[2]

ويرى ديك الجن أنّ المزايا التي انماز بها الإمام علي ﷺ هي التي جعلته صنواً للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي كان من بينها عدم عبادته الأصنام، لذا فضّله الله (تعالى) على غيره من المؤمنين، وأعطاه خصالاً كثيرة جعلته قريناً للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ولا يفترق عنه أبداً في الأوقات جميعها، فهما صنوان لا يفترقان، اشتركا معاً في تثبيت دعائم الدين الاسلامي من دون أدنى شك، يقول الشاعر:

لم يَعبُدِ الأصنامَ قَطُّ ولا أرابَ، ولا عَتَا

غَرَسَتْ يَدُ الباري له ربْعَ الرَّشادِ فأنْبَتَا

وأقامَهُ صنواً لأحْـ ـمَدَ دَوْحُهُ لن يُنْحَتا

صِنْوانِ هذا مُنذِرٌ وافى، وذا هادٍ أتى

يهدي لما أوفى به حُكْمُ الكِتابِ وأثبتا

فهُوَ القَرينُ له وما افْتَرقا بصَيفٍ أو شِتا[3]

ويشير دعبل بن علي الخزاعي الى المنقبة هذه في معرض حديثه عن بعض خصال الإمام علي ﷺ، والتي كان من بينها نصره النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ حداثة سنّه، كما الشأن عن شجاعته التي فاقت التصوّرات في حينها، إذ لم يكن جباناً في الحروب كلّها التي اشترك فيها كما أشرنا الى ذلك من قبل، ذلك كلّه تحدّث عنه الشاعر دعبل، فضلاً عن تأكيده توحيد الإمام علي ﷺ لله (تعالى) قبل كلّ موحِّد، فلم يعبد أيّ وثن يُذكَر، قائلاً:

سَقْياً لِبَيْعَةِ أحمَدٍ وَوَصِيِّهِ أعني الإمام وليَّنا المحسودا

أعني الذي نَصَرَ النَّبيَّ مُحَمَّداً قبلَ البَريَّةِ ناشِئاً ووَلِيدا

أعني الذي كَشَفَ الكُروبَ ولم يَكُنْ في الحربِ، عندَ لقائِها، رِعْدِيدا

أعني المُوَحِّدَ قبلَ كلِّ مُوَحِّدٍ لا عابداً وَثَناً ولا جُلمُودا[4]

وتبدو لغة الشاعر – في أبياته– شديدة الانفعال والحماسة، فذلك واضح من خلال تكرار كلمة (أعني) ثلاث مرات في مطالع الأبيات الثلاثة الأخيرة، فهو يقولها بحرص شديد، لإثبات المزايا التي التصقت بشخصية الإمام علي ﷺ، والتي أراد الشاعر تأكيدها من خلال ذلك التكرار للفظة بعينها، والتي تعكس حرص الشاعر في توصيل رسالته الى المتلقي، والتي تتضمّن إبراز فضائل الإمام علي ﷺ بالدرجة الأساس.

---

(1) ديوان السيد الحميري/ 142-143.
(2) م.ن/ 383، الزَّلَم: واحد الأزلام: وهي سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.
(3) ديوان ديك الجن /48.
(4) شعر دعبل بن علي الخزاعي /252-253.

والشيء نفسه يؤكده الصاحب بن عبّاد، ولكن بايجاز شديد لا يتعدّى البيت الواحد، إذ يذكر فيه الفضيلة هذه للإمام علي ﷺ الذي لم يعرف الأصنام قطّ، في الوقت الذي كان القوم يسجدون فيه لها، فضلاً، عن توحيده الله (تعالى) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ طفولته، فقال:

وما عَرَفَ الأصنامَ والقومُ سُجَّدٌ لها وهو في أثر النبيِّ يُوحِّدُ[1]

والصاحب نفسه يكرر الفضيلة هذه في مناسبة أخرى، ولكن بالإيجاز نفسه، وببيت واحد أيضاً، وربما يكون عذر الشاعر في ذلك هو أنّه لم يكن يتحدّث في أكثر قصائده عن فضيلة واحدة للإمام علي ﷺ، وإنّما كان حريصاً على الحديث عن أكثر فضائله في قصيدة واحدة، ويبدو أنّ ذلك هو السّرّ الكامن في ذكر الفضائل بصورة شديدة الايجاز، فلا يتعدّى الحديث عنها البيت أو البيتين، فيقول في عدم سجوده للأصنام:

أنتَ الذي لم يُرَ قطْ طُ ساجداً نحو هبل[2]

وعلى النحو هذا كانت أقلام الشعراء العباسيين تسطّر أروع مآثر الإمام علي ﷺ، لتوصيل رسالة مفادها أنّ الإمام عليًّا ﷺ كان قدوة حسنة في كل شيء، فأخلاقه من أخلاق النبيّ (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، وذلك واضح من خلال قصائد الشعراء أنفسهم[3].

تهديمه ﷺ الأصنام:

ترتبط بالمنقبة السابقة منقبة أخرى، ألاَ وهي منقبة تهديم الإمام علي ﷺ الأصنام التي كان يعبدها الكفّار حينذاك، وقد تمّت عملية تهديم الأصنام باشتراك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الإمام علي ﷺ في حادثة معروفة للجميع، إذ سعى كلاهما ليلاً لإسقاط الأصنام وتحطيمها، لإثبات سوء معتقدات القوم من وراء عبادتها، فهي لا تعي شيئاً ولا تعقل كما كانوا يظنون ذلك فيها، وعبّر بعض الشعراء العباسيين عن ذلك التحطيم للأصنام أروع تعبير في قصائدهم التي توجّهوا بها لمدح الإمام علي ﷺ، فقد بيّن السيد الحميري تفاصيل تلك الحادثة بأدقّ تفاصيلها، وكان حريصاً على دقة الوصف في تحركهما ونقل كلاهما (عليهما الصلاة والسلام) الى المتلقين، إذ تروي لنا أبياته أنهما قاما بتلك العملية ليلاً لتحطيم أحد الأصنام الذي كانت قبيلة خزاعة تعبده، إذ قال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي ﷺ: اصعد على ظهري وأسقطه، فقام الإمام علي ﷺ بتنفيذ قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فحطمه وتركه قطعاً مهشّمة، فحصل بعدها على دعاء يطرب سمعه من لدن النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ قال الشاعر:

وليلةٍ قاما يَمشيانِ بظلمةٍ يَجُوبانِ جِلباباً من الليلِ غَيْهَبا
الى صنمٍ كانت خزاعةُ كلُّها توقّرُهُ كي يكسراهُ ويهربا
فقال اعْلُ ظهري يا علي وحطّه فقام به خير الأنامِ مركَّبا
يغادره قضًّا جذاذاً وقال ثُبْ جزاك به ربّي جزاءً مؤرَّبا[4]

كان السيد الحميري حريصاً دوماً على تكرار الحديث عن مناقب الإمام علي ﷺ في قصائده التي كان يتغنّى بها في حب هذا الرجل الذي لم تنجب البشرية – عبر عصورها– رجلاً مثله سوى النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن الأنبياء الذين سبقوه (عليهم السلام)، لذا كان ذلك التكرار ايجابياً من حيث تعزيزه الفضيلة في أذهان الناس، وتأكيدها في شخصية الإمام علي ﷺ، ولكن المتلقي – في بعض الأحيان– يجد أنّ الكلام يتكرر نفسه من دون تجديد أو

---

(1) ديوان الصاحب بن عباد/36.
(2) م.ن/71.
(3) ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/58، 170، 237-238، 275، 325، 334، 342، 350، وديوان الصاحب بن عباد /42، 100.
(4) ديوان السيد الحميري/77-78، قضا: يقال: قضّ الحائط: هدمه، وقضّ الحجر: كسره.

إضافة تُذكر، فالقصّة التي يتحدث عنها الشاعر هي القصة التي ذكرها سابقاً، وأصدق مثال على ذلك هو قول السيد الحميري مكرراً الحادثة نفسها:

وليلةٍ خرجا فيها على وَجَلٍ وهم يجوبانِ دون الكعبةِ الظلما
حتّى إذا انتهيا قال النبي له إنّا نحاول أنْ نستنزلَ الصَّنَما
من فوقها فاعْل ظهري ثم قام به خير البريّة ما استحيا وما احتشما
حتّى إذا ما استوت رِجْلاَ أبي حسنٍ أهوى به لقرارِ الأرضِ فانحطما
ناداهُ أحمدُ أنْ ثُبْ ياعليّ لقد أحسنتَ باركَ ربّي فيك فاقتحما[1]

وربما يكون شفيعه – في ذلك التكرار – أنّه كرّس شعره كلّه – كما هو معروف– للحديث عن فضائل الإمام علي ﷺ، لذا فهو يجد نفسه مضطراً لإعادة الحديث عن مناقبه في قصائده التي مدحه فيها.

أمّا الشاعر دعبل بن علي الخزاعي، فانه يوجز القول في المنقبة هذه الى ابعد حدود الايجاز، ولكن من دون أن يخلّ بالمعاني أو بالألفاظ، وهنا تكمن مقدرة الشاعر المتمكّن من أدواته الفنية، فهو لم يتحدث عن الفضيلة المهمة هذه إلاّ في بيت واحد فقط، ولكنه كان في غاية الوضوح والتوصيل، إذ لم يُصِبْ بيته خلل أو ضعف، فضلاً عن أنه صاغ المنقبة هذه بأسلوب الاستفهام الإنكاري، الذي يُرادُ– من ورائه– الإثبات والتأكيد للمنقبة في شخص الإمام علي ﷺ، إذ قال فيها:

عليٌّ رَقى كِتْفَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ فهل كَسَّرَ الأصنامَ خَلقٌ سوى عليّ؟[2]

وحذا الشاعر مهيار الديلمي حذو دعبل، فهو الآخر تناول الفضيلة هذه باختصار شديد، إذ ذكرها في بيت واحد فقط، غير أنّه أضاف الى المعنى شيئاً جديداً افتقدناه عند السيد الحميري ودعبل، ففي بيته يذكر الشاعر أنّ الإمام عليًّا ﷺ هدَّمَ الأصنامَ بمرأى من عيون النّاس، وذلك ما لم يذكره الشاعران اللذان سبقاه في الزمن والقول، بل على العكس نجد أنّ السيّد الحميري أكّد أنّ العملية تمّت في الليل من دون أنْ يراهما أحد، قال مهيار الديلمي:

وهَدَّمَ في اللهِ أصنامَهُم بمرأى عيونٍ عليها عُكوفِ[3]

وعلى النحو هذا تناول الشعراء العباسيون عملية تهديم الأصنام من لدن الرسول الأعظم (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) والإمام علي ﷺ، تارة بالتفصيل وتارة أخرى بالايجاز الشديد، ولكنّهم كانوا مبدعين جميعهم في توصيل مضامين رسائلهم الشعرية الى متلقّيهم سواء أكانوا من المفصّلين في القول أم من الموجزين فيه على حدٍّ سواء.

<u>زواجه ﷺ من الزهراء(عليها السلام):</u>

وبالمثل كان زواج الإمام علي ﷺ من بنت الرسول الأعظم (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، مدار أقلام الشعراء العباسيين، فقد ملأوا صفحات دواوينهم بالحديث عن هذا الزواج الإلهي الذي حضرته الملائكة (عليهم السلام)، وازدهرت به الأرض والسماء على حدٍّ سواء، حتّى أنّ السيد الحميري تحدّث عن أنّ شجرة طوبى تناثرت – على كلّ مَن شهد ذلك الزواج من الناس والملائكة(عليهم السلام)– لؤلؤاً وزمرداً، إذ قال:

نَصَبَ الجليلُ لجبرئيل منبراً في ظلّ طوبى من متون زبرجدِ
شهد الملائكةُ الكرامُ وربُّهم وكفى بهم وبربِّهم من شُهَّدِ
وتناثرتْ طوبى عليهم لؤلؤاً وزمرداً متتابعاً لم يعقدِ

---

[1] م.ن/ 382-383.
[2] شعر دعبل بن علي الخزاعي/269.
[3] ديوان مهيار الديلمي2/264.

وملاك فاطمة الذي ما مثله في متهم شرقاً ولا في منجدِ[1]

لم يكن زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء(عليها السلام) زواجاً اعتيادياً، أو أمراً مألوفاً عند الآخرين، فعلي عليه السلام ابن عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومواقفه معروفة في الاسلام، ولاسيما في بداية الدعوة، وفاطمة الزهراء(عليها السلام) هي بنت النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كَثُرَ خُطابُها، ولكنَّ أباها (صلى الله عليه وآله ويلم) لم يزوّجها إلاّ لعليّ عليه السلام بارادة إلهية محض، وليس برغبة بشرية فحسب، لذا كان الشعراء العباسيون يكثرون الحديث عن هذا الأمر في قصائدهم كما رأينا في أبيات السيد الحميري السابقة، والتي كرّر معانيها مرّة أخرى في قصيدة مختلفة في صياغتها، ولكنها تؤدّي الغاية السابقة نفسها، إذ أكّد فيها أنّ الله (تعالى) هو الذي زوّجه فاطمة (عليها السلام) في ظلّ شجرة طوبى، فضلاً عن أنّ جبريل عليه السلام كان – في ذلك اليوم – يخطبهما في حشد كبير من الملائكة (عليهم السلام) الذين كانوا بعدد الحصى بحسب قول الشاعر، ثم ما لبثت شجرة طوبى أنْ تتساقط عليهم لؤلؤاً منثوراً، وياقوتاً ودرًّا وشذوراً، فتجمعه الحور العين ليبقى بينهنّ الى يوم القيامة، قائلاً:

واللهُ زَوَّجَهُ الزّكيّةَ فاطماً في ظلّ طوبى مشهداً محضورا
كان الملائكُ ثَمَّ في عدد الحصى جبريل يخطبهم بها مسرورا
يدعو له ولها وكان دعاؤه لهما بخير دائماً مذكورا
حتّى إذا فرغ الخطيبُ تتابعت طوبى تساقط لؤلؤاً منثورا
وتهيل ياقوتاً عليهم مرّةً وتهيل درًّا تارةً وشذورا
فترى نساء الحور ينتهبونه حوراً بذلك يحتذين الحورا
فالى القيامة بينهنّ هدّية ذاك النثار عشيةً وبكورا[2]

ويؤكد الزواج هذا – الذي تمّ بأمر إلهي محض– الشاعر ديك الجنّ، وذلك في ارجوزة جميلة حوت كلّ أمرٍ جميل يتعلق بالإمام علي عليه السلام، ابتدأها بمديحه على لسان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يخاطب الإمام عليًّا عليه السلام بأنّه منه كما كان هارون من موسى(عليهما السلام)، وهو خير العالمين عنده، إلاّ أنّه لا نبيّ بعده، ويعدّه – أيضاً– بمثابة الزرّ من قميصه، وليس لمن عاداه مهرب، لأنّه أخوه، فضلاً عن أنّه صهره بأمر أراده الله (تعالى)، إذ قضى ألاَ تُزَوَّج البتول (عليها السلام) إلاّ بعليّ عليه السلام، فزيّن الله (تعالى) الجنّات لذلك الزواج البهيّ، واصطف الملائكة (عليهم السلام) كما الحور العين، ثمّ سرعان ما أمطرت الجنان مختلف أنواع الحُلَل بإذن الله (تعالى)، فمَن حوى منها الأكثر افتخر بذلك الفضل، وهكذا قضى الله (تعالى) زواج علي عليه السلام بفاطمة (عليها السلام)، وذلك ما تكلم عليه الشاعر في ارجوزته الآتية التي يقول فيها:

إنّ الرَّسُولَ لم يَزَلْ يَقُولُ والخيرُ ما قالَ به الرَّسُولُ
إنّكَ منّي يا عليُّ الأبي بحيثُ مِن موساهُ هارون النَّبِي
لكِنَّهُ ليس نبيٌّ بعدي فأنتَ خَيرُ العالمينَ عندي
وأنتَ مِنّي الزِّرُّ من قميصي وما لِمَنْ عاداكَ مِن مَحِيصِ
وأنتَ لي أخٌ وأنتَ الصِّهْرُ زَوَّجَكَ الذي إليه الأمْرُ

[1] ديوان السيد الحميري/188-190.
[2] م.ن/ 212-213.

رَبُّ العُلى[كذا] بفاطِمِ الزَّهراءِ ذاتِ الهُدى سَيِّدَةِ النِّساءِ
أوّلُ خَلْقٍ جاءَ فيها خاطِبا عَنكَ إلَيَّ جائِياً وذاهِبا
وقالَ: قد قَضى إلهُك العَلي بأنْ تُزَوَّجَ البَتُولُ بعَلي
فَزَيَّنَ الجَنَّاتِ أحْلى زينه واجتَلَتِ الحورُ على سكينه
ولاحَتِ الأنوارُ منهُ السّاطِعَه وَصَفَّ أمْلاكَ السَّماءِ السَّابِعَه
وقُمْتُ عن أمرٍ إلهي أخطُبُ فيهم وأعطاهُمْ كما قد طَلَبُوا
ثُمَّ قضى اللهُ الى الجنانِ أنْ يُجْتَنَى الدّاني مِنَ الأغْصانِ
فأمْطَرَتْهُمْ حللاً وحلْياً حتّى رَعَوا ذَلِكَ مِنها رَعْيا
فمَنْ حَوَى الأكثر مِنْهُنَّ افْتَخَرْ بالفَضْلِ فِيها حازَهُ على الأُخَرْ
فَرُدَّ مَنْ يَخْطُبُ فاللهُ قَضَى بأنْ تكونَ زوجَةً للمُرْتَضَى[1]

أما دعبل بن علي الخزاعي، فقد اختصر الحديث عن ذلك الزواج ببيت واحد لا أكثر، أكّد فيه – كسابِقَيهِ– أنّ زواجهما كان بإرادة إلهية، فهو أمر منزل من السماء على حدِّ قوله في مدح الإمام علي عليه السلام:

صِهْرُ الرَّسُولِ على الزَّهْراءِ، زَوَّجَهُ الـ لهُ العَلِيُّ بها فوقَ السَّمواتِ[2]

وكذلك فعل الصاحب بن عباد في معرض مدحه للإمام علي عليه السلام، إذ جاء في قصيدته بعدّة مناقب كان من بينها زواجه عليه السلام من فاطمة الزهراء(عليها السلام)، فلم يذكر هذا الزواج إلاّ في بيت واحد فقط، قال فيه:

أنتَ الذي قد زُوِّجَ الزْ زَهراءَ يا خيرَ الوُصَلْ[3]

دأب الصاحب بن عباد على التعامل مع فضائل الإمام علي عليه السلام بهذه الطريقة، ففي أكثر شعره في مدحه عليه السلام كان يلجأ الى تعداد الفضائل الكثيرة في قصيدة واحدة، إلاّ أنّه كان يختصر الحديث عن كلّ فضيلة، بحيث لا يتجاوز كلامه عليها البيت أو البيتين، فكانت مسألة الزواج مرتبطة هي الأخرى بطريقته تلك كما رأينا في البيت السابق، والذي كرّر معناه في قصيدة اخرى، وفي مناسبة مختلفة، ولكن الرابط يبقى واحداً، ألاَ وهو الحديث عن ذلك الزواج ببيت واحد لا غير، وعدَّ فيه زواج الإمام علي عليه السلام من الزهراء (عليها السلام) فضيلة غرّاء لا يمكن للعصور أنْ تبيدها، قائلاً:

وتَزَوَّجَ الزَّهراءَ وهي فضيلةٌ غَرَّاءُ ليس تبيدُها الآبادُ[4]

وبذلك بدا واضحاً لنا كيف أنّ الشعراء العباسيين اهتموا بزواج الإمام علي عليه السلام بفاطمة الزهراء(عليها السلام)، فأكثروا من القول فيه، وعدّوه أمراً إلهيًّا كما هو في واقع الحال، فضلاً عن أنّه فضيلة من فضائل الإمام علي عليه السلام تضاف الى فضائله الأُخر[5].

مبيتُه عليه السلام في فراش النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):

لم يكن مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أمراً يسيراً من الممكن أن يؤدّيه أيّ انسان اعتيادي، بل كان أمراً يتطلب شجاعة كبيرة من لدن المتطوع لمثل هذا الأمر، ولاسيما حين يعلم أنّه سيُقْتَل لا

(1) ديوان ديك الجن/57-58، المحيص: المهرب.
(2) شعر دعبل بن علي الخزاعي/241.
(3) ديوان الصاحب بن عباد/69.
(4) م.ن/125.
(5) ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/401، 445، وشعر ابن المعتز411/1، وديوان الصاحب بن عباد/37، 43، 76، 108، 112، 116، 132، 144، 149، 163، 187.

محالة، ذلك لأنّ الكفّار اتفقوا على قتل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك الليلة من لدن القبائل ليضيع دمه بينهم، فلا يدركون له ثأراً، غير أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) استطاع الخروج في ذلك الليل من دون أنْ يراه أحد، قاصداً (غار ثور بأسفل مكة)، وبمساعدة الإمام علي عليه السلام الذي بات ليلتها في فراشه، فعندما جاء المتآمرون لقتله تبيّن لهم غير الذي اعتقدوه، إذ وجدوا الإمام عليًّا عليه السلام في الفراش حين همّوا بقتله، فتركوه مسرعين بحثاً عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، في محاولة لإدراكه قبل أن يختفي عنهم، وباءت محاولاتهم في العثور عليه بالفشل لأسباب معروفة.

وأثّرت الحادثة هذه كثيراً في نفوس المسلمين منذ ذلك الوقت والى يومنا هذا، لذا فليس من الغريب أنْ نجد الشعراء العباسيين يكثرون الحديث عنها، وعن شجاعة الإمام علي عليه السلام ودوره في إنقاذ شخص النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكالعادة فقد كان السيد الحميري أوّل المتحدّثين عنها في شعره، إذ قال فيها وفي شجاعة مَن بات في الفراش:

وسرى بمكة حين بات مبيته ومضى بروعة خائف مترقبِ
خير البرية هارباً من شرّها بالليل مكتتماً ولم يستصحبِ
باتوا وباتَ على الفراشِ ملفَّعاً فيرون أنّ محمّداً لم يَذهَبِ
حتّى إذا طلع الشميط كأنّه في اللّيل صفحة خدِّ أدهم مغربِ
ثاروا لأخذِ أخي الفراش فصادفتْ غير الذي طلبت أكفُّ الخيَّبِ
فوقاهُ بادرةَ الحتوفِ بنفسِه حذراً عليه من العدوِّ المجلبِ
حتّى تغيَّبَ عنهم في مدخل صلى الإله عليه من متغيّبِ
وجزاهُ خير جزاء مرسل أمة أدّى رسالته ولم يَتَهَيَّبِ
فتراجعوا لما رأوه وعاينوا أسدَ الإله مجالداً في منهبِ[1]

وتكرر الصورة نفسها لدى الشاعر نفسه أيضاً في مناسبة أخرى، ولكن بتفصيل أكثر من ذي قبل، إذ فصَّلَ الشاعر فيها الحديث عن عملية تطويق بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدد كبير من الرجال، فلما لاح الصبح وخابت مقاصدهم حين لم يجدوه، ووجدوا محله ابن عمه عليه السلام، رموه بالصخور بسبب غضبهم من فعله، بوصفه حامياً للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ قال:

وأتى النبيَّ فباتَ فوقَ فراشه متدثِّراً بدثاره كالراقِدِ
وذكتْ عيونُ المشركين ونطقُّوا أبياتَ آلِ مُحَمَّدٍ بمَراصِدِ
حتّى إذا ما الصبح لاحَ كأنَّهُ سيفٌ تخرَّقَ عنه غمد الغامدِ
ثارُوا وظنُّوا أنَّهُم ظفروا به فتعاوروهُ وخابَ كيدُ الكائِدِ
فوقاهُ بادرةَ الحتوفِ بنفسِه ولقد تنوَّلَ رأسه بجلامِدِ[2]

وسعى ديك الجن – في قصيدته – إلى إبراز درجة الشجاعة التي تحلّى بها الإمام علي عليه السلام في اتخاذ قراره في المبيت في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عوضاً عنه، مفتدياً إيّاه بنفسه، وذلك من خلال الاستفهام الذي نشعر –

---

(1) ديوان السيد الحميري/93-97، الشميط: الصبح، لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل، منهب: يمكن أن يكون من النهب وهو ضرب من الركض، أي تراجعوا راكضين.

(2) م.ن/194، نطقوا: أحاطوها بنطاق من الرجال، تعاوروه: تداولوه، تنوّل: يقال: تَنَوَّلَ علينا بشيء: أي أعطانا شيئاً، الجلامد: الصخور، وهي التي رماه بها المشركون عندما كان راقداً على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

من خلاله – بقوّة الخطاب في تثبيت تلك الشجاعة المتأصّلة في شخص الإمام علي عليه السلام والتي أدّت به الى عذله من لدن الكفّار الذين فاجأهم وجوده محلّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال:

دَعُوا ابْنَ أبي طالبٍ للهدى ونَحْرِ العِدى كيفما يَفعَلُ

وإلاّ فكُونُوا [...] كما كانَ هدى ولنارِ الوَغَى فاصْطَلُوا

ومَن كعَلِيٍّ فدى المُصطفى بنَفْسٍ ونامَ فما يَحْفِلُ

عَشِيَّةَ جاءَتْ قُرَيْشٌ لهُ وقد هاجَرَ المُصطفى المُرْسَلُ

وطافُوا على فُرْشِهِ يَنْظُرونَ مَنْ يَتَقَدَّمُ إذْ يُقْتَلُ

فلمّا بدا الصُّبْحُ قامَ الوَصِيُّ فأقْبَلَ كُلٌّ لهُ يَعْذُلُ[1]

ويختصر دعبل الخزاعي القول في الحادثة هذه، من خلال إثبات مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فوقاه كيد المشركين وفداه بنفسه، إذ قال في ذلك:

وهُوَ المُقِيمُ على فراشِ مُحَمَّدٍ حتّى وَقَاهُ كائِداً ومَكيدا[2]

ويذكر الفضيلة هذه ايضاً الشاعر ابن المعتز، على الرغم من الخلاف بين العباسيين والعلويين، ولاسيما فيما يتعلّق باستحقاق الخلافة، فمع ذلك وجدنا الشاعر يتغنّى بفضيلة الإمام علي عليه السلام، إذ عدَّها من الأمور الصعبة التي لا يتمكن أي إنسان من القيام بها كما قام بها الإمام علي عليه السلام، قائلاً:

وفي ليلةِ الغارِ وَقَّى النبيَّ عِشاءً الى الفَلَقِ الأشْهَبِ

وباتَ دَريئَهُ في الفراشِ مُوَطِّنَ نفسٍ على الأصْعَبِ[3]

ومن دون شكّ فان إيمان الإمام علي عليه السلام الشديد بالإسلام، وبدعوة النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) هو الذي دفعه إلى بذل روحه فداءً له، إذ ليس من السهل أن يُنهي المرءُ حياته بنفسه لولا وجود ذلك الإيمان الجارف في نفسه، وبذل المهجة هذا عبّر عنه الصاحب بن عبّاد بقوله:

وباتَ على فرش النبيِّ تَسَمُّحاً بمهجته إذْ أجْلَبوا وتوعَّدوا[4]

أمّا الشاعر عبد المحسن الصُّوري، فإننا نجده يحاجج أعداء الإمام علي عليه السلام بشجاعته منقطعة النظير، سائلاً إياهم عَمَّن استطاع منهم في فراش النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) حين جاءوا لقتله، وحتماً فأنّ في ذلك التساؤل يظهر مقصد الشاعر الذي يريد إبراز شجاعة الإمام علي عليه السلام، ولكنه الوحيد الذي تجرأ على فداء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم، فنال الفضيلة والتقدير عن جدارة واستحقاق، يقول:

وأيُّكم نامَ في فَرشِهِ وأنتمُ لِمُهجَتِهِ طالِبُونا[5]

كما ذكر الفضيلة هذه الشاعر مهيار الديلمي، وذلك من خلال ذكره لعدد من فضائل الإمام علي عليه السلام ومعجزاته التي استطاع أنْ يُخلِّد نفسه بها على مدى العصور والحقب إلى يوم الدين، فيرى الشاعر أنّه كان أبَرَّ المسلمين، لأنّه بذلَ نفسه زهيدة في سبيل الدفاع عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وفدائه، حرصاً على بزوغ فجر الإسلام، وضماناً لاستمراره:

---

(1) ديوان ديك الجن/52-53.
(2) شعر دعبل بن علي الخزاعي/253.
(3) شعر ابن المعتز411/1، الدرية: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرماية عليها.
(4) ديوان الصاحب بن عباد/36.
(5) ديوان الصُّوري68/2.

وأبُرهم مَنْ كان عنهُ مُوَقِّياً حَوباءَهُ فوقَ الفراشِ وفاديا[1]

وهناك نصوص شعرية أُخَر لبعض الشعراء العباسيين الذين تناولوا الفضيلة هذه في قصائدهم، إلاّ أنّه لا يسعنا ذكرها كلّها[2]، لذا نكتفي بالنصوص التي تمثلنا بها، بوصفها نماذج راقية للشعر في العصر العباسي من جهة، وأعطتنا صوراً واضحة المعالم عن طبيعة تعامل الشعراء مع المنقبة هذه من جهة ثانية.

غلق أبواب المسجد إلاّ باب الإمام علي عليه السلام:

ومن المناقب الجليلة للإمام علي عليه السلام أنّ الرسول (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) خصّه بحجرة في المسجد من دون الصحابة والأقارب كلّهم، فجعله جاراً له في المسجد، فأمر بإغلاق الأبواب جميعها إلاّ باب علي عليه السلام، ونظراً لما لهذه المنقبة من أثر ايجابي لاحظنا تطرّق الشعراء العباسيين لها بكثرة في مدائحهم التي وجهوها إلى الإمام علي عليه السلام، وتحدثوا فيها عن المزية هذه التي تحلّى بها من دون سائر الناس، حتى قال السيد الحميري فيها:

وخصّ رجالاً من قريش بأنْ بنى حُجَراً فيه وكان مُسدّدا

فقيل له اسدُدْ كلَّ بابٍ فتحته سوى باب ذي التقوى عليّ فسدَّدا[3]

يتبيّن لنا من البيتين أنّ الأمر كان إلهياً محض في عملية غلق الأبواب، فالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) خصّ بعض الرجال بتلك الحُجَر، ولكن جاءه الأمر الإلهي بغلق الأبواب، باستثناء باب الإمام علي عليه السلام، وذلك ما أكّده الشاعر نفسه في قصيدة أخرى، روى فيها أنّ الله (تعالى) أدخل الإمام عليّاً عليه السلام إلى المسجد، وأخرج الآخرين منه، فاختاره من دون البرية ليكون جاراً لنبيه (صلّى الله عليه وآله وسلم):

مَن كان ذا جار له في مسجد مَن نالَ منه قرابة وجوارا

واللهُ أدخلَه وأخرج قومه واختاره دون البريّة جارا[4]

ولا يبتعد الصاحب بن عباد في مضمون قوله عن قول السيد الحميري، فهو الآخر يؤكد غلق أبواب المسجد جميعها باستثناء باب الإمام علي عليه السلام، فهي الوحيدة التي ظلت مفتوحة ولم تُغلق كأبواب الآخرين، إذ قال:

ولا سُدَّ عن خيرِ المساجِدِ بابُهُ وأبوابُهم إذ ذاك عنه تَسَدَّدُ[5]

وهو يذكر الفضيلة هذه في موضع آخر، بوصف ذلك التكرار تأكيداً لمنقبة جليلة حظي بها الإمام علي عليه السلام من دون الآخرين، قائلاً:

قد سُدَّتِ الأبوابُ إلاّ بابُهُ لو كان يُعْرَفُ موضعُ التبيينِ[6]

قضاؤه عليه السلام لدَين النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):

يُروى أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قضى ديون النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) جميعها، وأنّه ظلّ ثلاثة أعوام ينادي بالمواسم مَن كان له على رسول الله دَينٌ فليأتنا نقضِ عنه، فأدّاها كلّها، وقد بلغت ثمانين ألفاً[7]، وقد أكثر السيد الحميري– في شعره– من الحديث عن المنقبة الجليلة هذه، ومن ذلك قوله:

نفسي الفداء لمن قضى لا غيره دَينَ النبيِّ ونَفَّذَ الموعودا[8]

---

(1) ديوان مهيار الديلمي4/201.
(2) ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/167، 249، 431، وديوان الصاحب بن عباد/42، 68، 107، 112، 164.
(3) ديوان السيد الحميري/167-168، خصَّ: أي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، حجراً: جمع حجرة، فيه: الضمير يعود إلى المسجد.
(4) م.ن/217، وينظر: 241، 252، 282-283، 325.
(5) ديوان الصاحب بن عباد/37.
(6) م.ن/131.
(7) ينظر: ديوان السيد الحميري/ 297، الهامش.
(8) م.ن/171.

وله في ذكر الفضيلة نفسها قول يؤكد فيه وفاء الإمام علي عليه السلام للوعد الذي قطعه للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي كان واثقاً بوفائه طبعاً، وبذلك القضاء أبرأ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّا كان بذمَّته من الديون المترتبة عليه، فجاء مدحه عليه السلام على النحو هذا:

وأدَّيتَ عنه كلّ عَهْدٍ وذمَّةٍ وقد كان فيها واثقاً بوفائكا
فقلتَ له اقضي ديونَكَ كلَّها وأقضي بانجاز جميعِ عداتِكا
ثمانينَ ألفاً أو تزيد قضيتها فأبرأته منها بحسن قضائِكا[1]

وترتبط بالفضيلة هذه فضيلة أخرى إنماز بها الإمام علي عليه السلام، ألاَ وهي أنه لم يكن يطالب المدّعي بالدَّين بأيّة بيّنة، وإنَما يعطيه دَينه من دون أيّ دليل يؤكد صدق زعمه، إذ كان عليه السلام يصدّق كل زاعم يزعم أنّه كان قد أقرض النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) مبلغاً من المال، ويقوم بتسديده إليه بلا إثبات:

أدى ثمانين ألفاً عنه كاملةً لا بل تزيد ولم يغرم وقد غنما
يدعو إليها ولا يدعو ببيّنةٍ لا بل يصدّق فيها زَعْمَ من زَعما
حتَى يخلصه منها بذمّته إنّ الوصيّ الذي لا يخفر الذّمما[2]

وفضلاً عن ذلك نرى الإمام عليّاً عليه السلام مُرَحِّباً بأهل الدَّين، مستقبلاً إيّاهم بكلّ فرحٍ وسرور، من دون منٍّ منه ولا تجهّم، وذلك يعكس نفسه النبيلة السمحاء التي كانت تبذل الغالي والنفيس في سبيل إرضاء الله (تعالى) ونبيه الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فكان عليه السلام يعطي ماله الخاص ليبرئ ذمة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وقد عبّر الشاعر عن ذلك كلّه بقوله:

وأوصي إليهِ يوم ولّى بأمره وميراث علم من عرى الدين محكمِ
فما زال يقضي دَينه وعداته ويدعو إليها مُسْمِعاً كلّ موسمِ
يقول لأهلِ الدَّينِ أهلاً ومرحباً مقالة لا مَنٌّ ولا متجهِّم
وينشرها حتّى يخلّص ذمّةً ببذلِ عطايا ذي ندى[كذا] متقسمِ[3]

لقد أجاد السيد الحميري– من خلال نصوصه السابقة وغيرها[4]– في تصوير فضيلة الإمام عليه السلام بقضاء دَين النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إجادة كبير، إذ رسم صوراً جميلة للوفاء الذي انماز به الإمام علي عليه السلام، والذي أكد– من خلاله– قوة الإيمان التي تحلّى بها عليه السلام قياساً بالصحابة الآخرين الذين لم يتحلّوا بصفاته، ولم يمتلكوا مزاياه.

<u>ردّ الشمس له عليه السلام من أجل الصلاة:</u>

ومن معجزات الإمام علي عليه السلام أن الشمس رُدَّت له في وقتين مختلفين بإذن الله (تعالى)، وذلك ليصلّي صلاة العصر في وقتها ومن دون أن يضطرّ الى قضائها، فإذا ما انتهى عليه السلام من صلاته، عادت الشمس إلى غيابها فيدخل وقت المغرب، وحدث ذلك مرّة في المدينة، ومرّة أخرى في بابل، لذا تكلّم الشعراء العباسيون كثيراً على المعجزة هذه في قصائدهم التي اختصّت بمدح الإمام علي عليه السلام، بوصفه مستحقًّا كبيراً لذلك المديح، وبطبيعة الحال فانّ أوّل شاعر عباسي تطرّق – في شعره– للمعجزة هذه هو السيد الحميري، الذي أكّد أن المعجزة لم تحصل إلاّ مع الإمام علي عليه السلام، وليوشع عليه السلام من قبله، قائلاً:

---

[1] م.ن/297.
[2] م.ن/ 382.
[3] م.ن /402.
[4] ينظر: م.ن/ 59، 150، 325، 390-391، وينظر: شعر دعبل بن علي الخزاعي/ 275.

رُدَّتْ عليه الشمسُ لما فاته وقت الصّلاةِ وقد دَنَتْ للمغربِ
حتّى تبلّجَ نورُها في وقتها للعصر ثم هَوَتْ هَويَّ الكوكبِ
وعليه قد حُبِسَتْ ببابل مرّةً أخرى وما حُبِسَتْ لخلقِ مغربِ
إلاّ ليوشع أوله من بعده ولردِّها تأويل أمرٍ معجبِ[1]

لقد خصّ الله (تعالى) الإمام عليًّا ﷺ بالمعجزة هذه من دون غيره من المسلمين، إكراماً له ولما قام به في سبيل تثبيت أركان الدين الاسلامي، فعودة الشمس بعد غروبها ليست عملية صغيرة أو يسيرة، أو ذات شأن متواضع، وإنّما هي قضيّة كبرى تتعلق بالملكوت الإلهي الذي يتحكم بسير الزمن، وذلك كلّه ليحظى الإمام علي ﷺ بصلاة واجبة في وقت أدائها، فما ان ينتهي منها حتى تتوارى الشمس ثانية، وترجع الى وقتها الطبيعي الذي سيّرها فيه خالقها (جلَّ وعلا):

أمْ مَنْ عليه الشمسُ كرّت بعدما غربت وألبسها الظلامُ شعارا
حتّى تلاقى العصر في أوقاتها واللهُ آثره بها ايثارا
ثَمّت توارت بالحجابِ حثيثة جعل الإلهُ لسيرها مقدارا[2]

وردّد الشعراء العباسيون المعجزة هذه كثيراً في قصائدهم التي مدحوا فيها الإمام عليًّا ﷺ، بوصفها منقبة تضاف الى مناقبه المتعددة، ومن الشعراء الذين تحدثوا عنها كشاجم الذي يقول فيها:

وَمَنْ رَدَّ خالِقُنا شمسَهُ عليهِ وقد جَنَحَتْ لِلطُّفَلْ[3]

وكذلك الصاحب بن عبّاد الذي قال في المعجزة:

أنتَ الذي رُدَّتْ عَلَيـ ـهِ الشَّمْسُ من بَعدِ الطَّفَلْ[4]

كما قال فيها أيضاً:

هيهاتَ أينَ القاسطونَ وقد رُدَّتْ إليهِ الشَّمسُ للعصر[5]

وتطرّق لها الشاعر مهيار الديلمي أيضاً في مدحه للإمام علي ﷺ، وذلك في من تعداده عدّة فضائل له، كان منها معجزته في ردِّ الشمس عليه من أجل الصلاة، قائلاً:

ورجعةُ الشَّمسِ عليكَ نَبَأٌ تشعَّبُ الألبابُ فيه وتَضِلْ[6]

وبذلك كانت المعجزة هذه دليلاً آخر على استحواذ الإمام علي ﷺ لكل الخصال الحميدة[7]، إذ نال الكثير من الصفات التي جعلته مؤهلاً حقيقياً ليكون صِنواً للنبي (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، ويتحمل معه الصعاب الكثيرة، ولاسيما في بداية الدعوة الاسلامية.

<u>الإمام علي ﷺ قسيم النار:</u>

وممّا توارد لدينا من أخبار تتعلق بمناقب الإمام علي ﷺ أنّه قسيم النار يوم القيامة، يأمرها بأن تأخذ هذا وتترك ذاك، فهو – كما يشبهه السيد الحميري– كالصيرفي الذي ينتقد الدراهم الصحيحة من الزائفة، قائلاً:

---

(1) ديوان السيد الحميري/ 87-90.
(2) م.ن/ 223.
(3) ديوان كشاجم/345.
(4) ديوان الصاحب بن عباد/69.
(5) م.ن/142.
(6) ديوان مهيار الديلمي115/3.
(7) ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/117، 279، 282، وديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي/201، وديوان الصاحب بن عباد /43، 103، 117.

قسيمُ النار ذاك لها وذا لي ذريه انه لي ذو ودادِ

يقاسمها فينصفها فترضى مقاسمة المعادل غير عادِ

كما انتقد الدراهمَ صيرفي ينقي الزائفاتِ مِنَ الجِيادِ[1]

والذي نلحظه في الأبيات السابقة هو أنّ الإمام عليًّا عليه السلام يأمر النار بأخذ عدوّه، وترك ناصره ومؤيده، بمعنى أنّ شيعته سيسلمون من النار لحبّهم له وتأييدهم إيّاه، وذلك ما أكّده الشاعر في بيت آخر من شعره، قال فيه:

ذاك قسيمُ النّار من قِبلِهِ خذي عدوّي وذري ناصري[2]

وفي الحالات كلها نجد أنّ النار تكون راضية بقسمة الإمام علي عليه السلام، فلا تعترض عليه أبداً حين يوجهها بالأخذ أو التّرْك، لقناعتها بعدالته عليه السلام، وعدم ظلمه إيّاها، وفي الوقت نفسه فانه لا يرضى بدخول شيعته الى النار، لذا يسعى إلى خلاصهم منها بما أُوتِيَ من فضائل تجعله شفيعاً لهم عند ربّه (سبحانه وتعالى):

قسيمُ نارٍ به ترضى يقول لها ذا لي وذا لكِ قسم لم يكن علقا[3]

وهو إنّما يأمرها بتّرْك محبّيه وأخذ أعدائه وناكري حقّه، لئلا تجور فتظلم أنصاره الذين أحبّوه وناصروه بسيوفهم وألسنتهم، فتغدو ظالمة بفعلها ذلك:

عليٌّ قسيمُ النارِ من قوله لها ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمِ

خذي بالشوي ممّن يصيبكِ منهم ولا تقربي مَن كانَ حزبي فتظلمي[4]

إذن، سيفلح أنصار الإمام علي عليه السلام يوم القيامة، إذ لن تمسّ النار جلودهم، في الوقت الذي سيخسر فيه كلّ مَن حمل له العداوة والبغضاء، فيحترقون بنار جهنّم التي لا تذر ولا تبقي، وذلك ما عبّر عنه الشاعر ديك الجن حين قال مادحاً الإمام عليًّا عليه السلام:

ومُقاسِمُ النِّيرانِ أنتَ لِمَنْ أخذُوا العُهُودَ بعالم الذَّرِّ

فتقولُ يانارُ اتركي ليَ ذا ولذا خُذي، فَتَدينُ للأمْرِ[5]

فالنار لن تعصي أمراً يأمرها به الإمام علي عليه السلام، فتنفذ طائعة ما يقوله لها من دون أيّ نقاش معه، لأنه عادل في قسمته لا يظلم ولا يتعدّى:

قَسيمُ الجَحِيمِ: فهذا لَهُ وهذا لها باعتِدالِ القِسَمْ[6]

وأكثر الشعراء العباسيون من تداول الفضيلة هذه أو المنقبة التي اختصّ بها الإمام علي عليه السلام، وتطرّقوا للحديث عنها في أكثر قصائدهم التي مدحوه فيها، فهذا الصاحب بن عباد يقول مخاطباً الإمام عليه السلام بشكل مباشر فيما يخصّ مضمون المنقبة هذه:

أنتَ الذي سيقسمُ النـ ـنارَ ويُردي ذا الدَّغَلْ[7]

---

(1) ديوان السيد الحميري/184-185.
(2) م.ن/245.
(3) م.ن/ 293، العَلق: محركة: المحبة، والعلق: الخصومة.
(4) م.ن/399-400.
(5) ديوان ديك الجن/51.
(6) شعر دعبل بن علي الخزاعي/271.
(7) ديوان الصاحب بن عباد/70.

ولا يكتفي الصاحب بقوله هذا، وإنما نجده غير خائف من دخوله النار، بسبب حبّه الإمامعليه السلام ، إنْ كان ذلك الحبّ ممّا يوجب دخوله النار، لعلمه وايمانه التام بأنّ قسيم تلك النار هو الإمام عليعليه السلام نفسه، وليس سواه، ففي المحصّلة النهائية لن يدخل تلك النار، كونه محبًّا لقسيمها عليه السلام، فيقول في ذلك بصياغة فذّة، وأسلوب جميل:

أبا حَسَنٍ إنْ كان حبُّكَ مُدْخِلي جحيماً فانَّ الفَوزَ عندي جَحِيمُها

وكيف يخافُ النارَ مَن هو مؤمنٌ بأنَّ أميرَ المؤمنينَ قسيمُها[1]

أمّا الشريف الرضي، الذي يعود نسبه الى الإمام علي عليه السلام، فنراه يفتخر بأنّ جدّه عليه السلام هو قسيم النار في الآخرة، فذلك – حتماً– ممّا يدعو الى الفخر، يقول:

قَسِيمُ النّارِ جَدِّي يومَ يُلْقَى به بابُ النجاةِ مِنَ العَذابِ[2]

وحين يلتقي أعداء الإمام عليعليه السلام يوم الحساب، فان النيران ستتحوّطهم ملتهمة إيّاهم بما كفروا وأضمروا له سوء النوايا والأفعال، وذلك ما عبّر عنه الشاعر المعروف بالصُّوري في قوله:

وإذا ما التَقَوا تقاسَمَتِ النَّا رُ عَلِيًّا بالعَدْلِ يَومَ التَّلاَقِ

قِيلَ هذا بما كفَرتمُ فذُوقُوا ما كسَبْتُم يا بُؤسَ ذاكَ المَذَاقِ[3]

وتطرّق الشعراء العباسيون – في مدائحهم– الى الحديث عن المنقبة هذه كلٌّ بحسب رؤيته لها، ومقدرته على وصفها بالشكل الذي يراه مناسباً، لذا تعددت الرؤى بشأنها كثيراً في الشعر العباسي[4].

<u>مديح الإمام علي عليه السلام بفضائل أُخر :</u>

لم تقتصر فضائل الإمام علي عليه السلام على المحاور التي مرّ ذكرها فحسب، وإنّما كانت أكثر من ذلك التعداد والتمثيل، وفي الوقت نفسه لم يكتفِ الشعراء العباسيون بمدائحهم السابقة فيه، وفي الحديث عن مناقبه التي مرّ ذكرها بل راحوا يمدحونه عليه السلام بفضائل أُخر غير التي تمَّ التطرّق لها، فالإمام علي عليه السلام بحر لا ينضب من الفضائل والمناقب والمعجزات التي كانت جميعها – تقريباً– بإرادة إلهية، إذ لا يمكن أن تقتصر على القدرات الانسانية المتواضعة، وممّا مُدِحَ به عليه السلام مولده الذي كان في بيت الله (سبحانه وتعالى) في الكعبة الشريفة، وذلك أمر لا يمكن حصوله إلاّ في النادر، فوضعته أمّه (فاطمة بنت أسد) (رضي الله عنها) هناك، فانبرى السيد الحميري متغنّياً بهذا المولد السعيد الذي لا يشبهه مولد سوى مولد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، قائلاً فيه:

ولدته في حرمِ الإلهِ وأمنِه والبيت حيث فناؤه والمسجدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ طابتْ وطابَ وليدُها والمولدُ

في ليلةٍ غابتْ نحوسُ نجومها وبَدَتْ مع القَمَرِ المُنيرِ الأسعدُ

ما لفّ في خرق القوافل مثله إلاّ ابنُ آمنة النبيُّ محمَّدُ[5]

ومن مناقبه عليه السلام الأُخَر، هي أنّه جاء رجل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلاّ الماء، فقال: مَن لهذا الرجل الليلة ؟ فقال أمير المؤمنينعليه السلام: أنا يا رسول الله، وأتى فاطمة (عليها السلام) وسألها ما عندك يا بنت رسول الله؟ قالت: ما عندي إلاّ قوت الصبية، لكنّا

---

[1] م.ن/275.
[2] ديوان الشريف الرضي 116/1.
[3] ديوان الصُّوري310/1
[4] ينظر على سبيل المثال: ديوان السيد الحميري/252، وديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي/201، وديوان الصنوبري/129، وديوان الصاحب بن عباد/45، 117،132.
[5] ديوان السيد الحميري/155، وينظر مثل ذلك: ديوان الصاحب بن عباد /70.

نؤثر به ضيفنا، فقال: نوّمي الصبية واطفئي المصباح، فلمّا فرغ الضيف من الأكل أتت بسراج فوجد الجفنة مملوءة من فضل الله (تعالى)، فلمّا أصبح عليه السلام صلى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم)، فلمّا سلم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد عجب الربّ من فعلكم البارحة، اقرأ[1] **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [2].

ودوَّنَ المنقبة الجليلة هذه الشاعر السيد الحميري الذي قال في سبب نزول الآية السابقة ما نصّه:

قائل للنبيّ إنّي غريب جائع قد أتيتكم مستجيرا
فبكى المصطفى وقال: غريب؟ لا يكن للغريب عندي ذكورا
مَن يضيف الغريب؟ قال علي: أنا للضيف، انطلق ماجورا
ابنة العمّ عندنا شيء من الزا د؟ فقالت: أراه شيئاً يسيرا
كفٌّ بُرٍّ. قال اصنعيه فانْ نَ اللهَ قد يجعل القليل كثيرا
ثم اطفئي المصباحَ كي لا يراني فاخلّى طعامه موفورا
جاهد يلحظ الأصابع والضيـ ـفُ يراهُ الى الطعام مُشيرا
عجبَت منكم ملائكةُ اللـ ـهِ وأرضيتم اللّطِيفَ الخَبيرا
ولهم قال يؤثرون على أنْـ فسهم قال ذاك فضلاً كبيرا[3]

كما مُدِحَ الإمام علي عليه السلام بغزارة علمه، الذي كان –لكثرته– بمثابة الطبيب المعالج لجهل الآخرين، وفي الوقت الذي كان فيه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) منذراً للناس بالدين الاسلامي، كان الإمام علي عليه السلام هادياً من بعد النبي (عليه وعلى آله أفضل الصلاة السلام):

من كان في الدين نوراً يستضاء به وكان من جهلها بالعلم شافيها
كان النبيُّ بوحي اللهِ منذرها وكان ذا بعده لا شكّ هاديها[4]

ويعترف الخليفة المأمون بفضل الإمام علي عليه السلام مع ما بينهما من الاختلاف المذهبي، فيؤكد أنّه عليه السلام خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن أنّه أوّل رجل أعان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية الدعوة سرًّا وعلنًا، ولم يخشَ شيئاً، وذلك ما لم ينطبق على أحد غيره، لذا نرى المأمون ينكر على لائميه في حبّ الإمام علي عليه السلام وشكره، ويردّ عليهم بقوله:

أُلامُ على شُكْرِ الوصِيِّ أبي الحَسَنْ وذلك عِندي من عَجَائِبِ ذا الزَّمِنْ
خليفةِ خَيرِ النّاسِ والأوّل الذي أعانَ رسُولَ اللهِ في السِّرِّ والعَلَنْ
ولولاهُ ما عُدَّتْ لهاشمٍ آمْرَةٌ وكانت على الأيّامِ تُفْضَحْ وتُمْتَهَنْ[5]

وعندما تصدّق الإمام علي عليه السلام بخاتمه للمسكين، وهو في موضع الركوع، نزلت فيه الآية الكريمة **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[6]، فأضاف الإمام علي عليه السلام فضيلة أخرى لا تتّسم بالاعتيادية، بل بالنادرة، والتي لا يمكن أنْ تتكرر عبر العصور والحقب، ولذلك نراها (الفضيلة) أثّرت في بعض الشعراء

---

(1) ينظر: ديوان السيد الحميري/226، الهامش.
(2) الحشر/9.
(3) ديوان السيد الحميري/226-227.
(4) م.ن/468.
(5) ديوان الأمين والمأمون/103.
(6) المائدة/55.

العباسيين تاثيراً ايجابياً كبيراً، فتحدثوا عنها وتغنّوا بها في قصائدهم، ومنهم على سبيل المثال الشاعر دعبل الخزاعي، الذي صوّر ذلك العطاء تصويراً دقيقاً، ومشيراً في الوقت نفسه الى الآية الكريمة ومقتبساً منها ما يؤدي غايته التي أنشد مقطوعته من أجلها، إذ قال فيها:

نَطَقَ القُرآنُ بفضلَ آلِ مُحَمَّدٍ ووِلايةٍ لِعَلِيِّهِمْ لم تُجْحَدِ

بولايةِ المُختارِ مِن خَيرِ الورَى بَعدَ النَّبيِّ، الصَّادِقِ المُتَوَدِّدِ

إذ جاءَهُ المِسْكِينُ حالَ صَلاَتِهِ فامتَدَّ طَوْعاً بالذِّراع وباليَدِ

فتناولَ المِسكِينُ منهُ خاتَماً هِبَةَ الكريمِ الأجودِ بنِ الأجْوَدِ

فاخْتَصَّهُ الرَّحْمَنُ في تَنْزِيلِهِ مَنْ حازَ مِثْلَ فَخَارِهِ فِلْيَعْدُدِ:

إنّ الإلهَ وليُّكُمْ ورسُولَه والمُؤمِنينَ، فمَنْ يِشَأْ فليَجْحَدِ

يكن الإلهُ خَصِيمُهُ فيها غداً واللهُ ليسَ بمُخْلِفٍ في المَوعِدِ[1]

في حين يلجأ الصاحب بن عباد – كعادته– الى تعداد مجموعة فضائل حظي بها الإمام علي عليه السلام في مقطوعة واحدة، منها أنّه عليه السلام طلّق الدنيا ثلاثاً ولم يهتم لها كالآخرين، كما أنّه الشخص الوحيد الذي دعاه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ليأكل الطير معه، فضلاً عن أنّه وصيّه الذي يعتمده دوماً، والذي كلّفه بقراءة سورة (التوبة) على المشركين من دون سائر الصحابة (رضي الله عنهم)، يقول الشاعر في مدح الإمام علي عليه السلام:

يا أميرَ المؤمنينَ المرتضى إنّ قلبي عندكم قد وقفا

كلّما جدّدتُ مدحي فيكُمُ قال ذو النصب: نسيتَ السَّلَفا

مَنْ كمولاي عليٍّ زاهدٌ طَلَّقَ الدّنيا ثلاثاً ووفى

مَنْ دُعِيَ للطيرِ إذْ يأكُلُهُ ولنا في بعض هذا مُكْتَفَى

مَنْ وصِيُّ المصطفى عندكُمُ ووصيُّ المصطفى مَنْ يُصْطفى

سورةُ التوبةِ مَنْ وُلِّيَها بِيِّنُوا الحقَّ ومَنْ ذا صُرِفا[2]

إنّ كلّ شرفٍ يناله الانسان– أيّ انسان– في حياته، سيكون رصيداً فعّالاً له بعد تركه الحياة الدنيا، ويصبح ذخراً حسناً في آخرته، فما بالك بالإمام علي عليه السلام الذي نال كلّ فضيلة حسنة لم يختلف فيها إلاّ القليل، فغدت تلك الفضائل أناشيد الشعراء التي لا ينقطع صداها، ولاسيما شعراء العصر العباسي الذين لم يألوا جهداً في تدوينها والتغنّي بها وبمضامينها الأزلية التي أصبحت دروساً تتعلّمها الأجيال، ولهذا السبب كَثُرَتْ تلك القصائد كثرة الفضائل التي تحلّى إليها الإمام علي عليه السلام الى الدرجة التي لا يسعنا فيها المقام للحديث عنها كلّها، أو التطرّق إليها والتمثيل بها جميعها[3].

---

(1) شعر دعبل بن علي الخزاعي/256.

(2) ديوان الصاحب بن عباد/245-246.

(3) ينظر: ديوان السيد الحميري/63-64، 64-65، 76-77، 78-80، 92-93، 125-127، 127-128، 128، 130-131، 175-176، 178-179، 199-200، 209، 224، 246- 247، 251-252، 278-279، 280-281، 286-288، 290، 291، 295، 298-300، 322-323، 326، 337-338، 350، 369-371، 387، 389، 393-394، 398-405، 410-411، 413، 416-419، 430- 435، 436-437، 444-445، 446-447، 460-461، 464-465، 466، 469، 472، ومحمد بن وهيب الحميري/96، وديوان ديك الجن/44-46، 48، وشعر دعبل بن علي الخزاعي /244-245، 252-253، 270-272، 273-275، وشعر ابن المعتز1/166-167، وديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي/204، وديوان كشاجم/344-345، وديوان أبي فراس الحمداني /204-207، وديوان السَّريِّ الرَّفاء2/806، وشعر الخبّاز البلدي/30، 35، وديوان الصاحب بن عباد/34-37، 42-47، 51، 60، 68-72، 74-76، 82-84، 106-111، 114-115، 141-142، 143-146، 147، 151، 155-158، 160-162، 162-164، 184، 185، 219، 260، 261، 274-275، 301، وديوان الصُّوري2/68، وديوان مهيار الديلمي2/264، 3/15، وديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس المعروف بـ (حَيْص بَيْص) 2/14، 3/416.

ولعلّ كثرة تلك الفضائل كانت سبباً مباشراً في صمت الشاعر (شهاب الدين) المعروف بـ(حَيْص بَيْص) عن الحديث عنها، إذ وجد قوله لا يسعها، لأنها فوق الأقوال والمدائح كلّها، وهذا ما صرّح به الشاعر فعلاً في أبيات رأى فيها أنّ الجميع متّفقون في تفضيل الإمام علي ﷺ، في الوقت الذي اختلفوا في كثير من الأفاضل سواه، فقال:

صِنْوَ النبيِّ رأيتُ قافيتي أوصاف ما أُوتيتَ لا تَسَعُ

فجعلتُ مدحي الصَّمْتَ عن شرفٍ كُلُّ المدائح دونهُ تقعُ

ماذا أقولُ وكلُّ مُقْتَسِمٍ بين الأفاضلِ فيكَ مجتمعُ[1]

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، أكرم المصادر.
2. ديوان أبي فراس الحمداني، رواية: أبي عبدالله الحسين بن خالويه، عني بجمعه ونشره: الدكتور سامي الدهان، الاختيار والتقديم والشرح: أحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004.
3. ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد محمد بن سعد الصيفي التميمي البغدادي المعروف بـ(حَيْص بَيْص)، حقّقه وضبط كلماته وشرحها وكتب مقدّمته: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الاعلام– الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة– بغداد، ج2، 1974م، ج3، 1975م.
4. ديوان الأمين والمأمون، جمعه وحقّقه وشرحه: الدكتور واضح الصّمد، دار صادر– بيروت، 1988م.
5. ديوان ديك الجن، حقّقه وأعدّ تكملته: الدكتور أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري، نشر وتوزيع: دار الثقافة، بيروت، 1964م [تاريخ المقدّمة].
6. ديوان السَّريِّ الرَّفّاء، تحقيق ودراسة: الدكتور حبيب حسين الحسني، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام– الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
7. ديوان السيد الحميري، جمعه وحقّقه وشرحه وعلّق عليه وعمل فهارسه: شاكر هادي شكر، قدّم له العلاّمة الكبير الحجّة السيد محمّد تقي الحكيم، منشورات: دار مكتبة الحياة – بيروت، مطبعة سميا– بيروت، د.ت.
8. ديوان الشريف الرضي، دار صادر – بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1961م.
9. ديوان الصاحب بن عبّاد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار القلم، بيروت، مكتبة النهضة– بغداد، ط2، 1974م.
10. ديوان الصنوبري، أحمد بن محمّد بن الحسن الضَّبي، (من حرف الراء حتى حرف القاف)، حقّقه: الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة، مطابع غريّب– بيروت، 1970م.
11. ديوان الصُّوري، عبد المحسن بن محمّد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصُّوري، تحقيق: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة– بغداد، 1980م.
12. ديوان علي بن محمّد الحماني العلوي الكوفي، صنعة: محمّد حسين الأعرجي، مجلة المورد، مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الاعلام– الجمهورية العراقية، م3، ع2، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1974م.
13. ديوان كشاجم، محمود بن الحسين، دراسة وشرح وتحقيق: الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط1، 1997م.
14. ديوان مهيار الديلمي، منشورات الشريف الرضي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، ج2، 1925م، ج3، 1930م، ج4، 1931م.

[1] ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس المعروف بـ(حَيْص بَيْص)13/2.

15. شعر ابن المعتز صنعة: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس أحمد السامرائي،ج1، منشورات وزارة الاعلام– الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة– بغداد، 1978م.
16. شعر الخبّاز البلدي، أبي بكر محمد بن أحمد بن حمدان الخبّاز البلدي، جمع وتحقيق: صبيح رديف، بغداد، مطبعة الجامعة، ط1، 1973م.
17. شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة: الدكتور عبد الكريم الأشتر، دمشق، 1964[تاريخ المقدّمة].
18. طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، ط4، 1956م [تاريخ مقدمة المحقق].
19. محمد بن وهب الحميري، ضمن: شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986م.